من درر شيخ الإسلام ابن تيمية



تأليف
شيخ الإسلام ابن تيمية
٦٦١-٧٢٨هـ

دراسة وتحقيق
الدكتور محمد بن سعيد القحطاني
قسم العقيدة - جامعة أم القرى

النص الكامل لهذه الرسالة ينشر لأول مرة

مكتبة السنة



الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ

الطبعة الثانية ١٤١٦ هـ – مكتبة السنة

مكتبة السنة

الدار السلفية لنشر العلم

القاهرة – ٨١ شارع البستان (ناصية شارع الجمهورية – ميدان عابدين)

هاتف ٣٩٠٠٣١٨ – ٣٩١٣٥٣٢ فاكس ٣٩٢٦٢٥٠ . ص . ب : ١٢٨٩ القاهرة .



المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مُضلَّ له ، ومن يُضْلِلْ فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهدُ أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعينَ وبعد:

فإن دين الله تبارك وتعالى قد اعتنى بالنّفس البشرية عناية فَائِقةً ، ورسَمتْ لها الشريعةُ الغرّاء طريقَ السّعادةِ والنجاةِ وحذّرتْهَا من مَفَازَةِ الغُوَايةِ والهلاكِ .

وتبرزُ تَزْكِيةُ هذا الدين للنّفسِ البشرية من أول ركنٍ من أركانه وهي شهادةُ التوحيدِ التي تُخلّصُ النفسَ من الآلهةِ والأرباب والمعبودات الباطلة ، وتعرّفُهَا بالإلهِ الحقِّ والربِّ المطاعِ .

وتَزْكيةُ النّفْسِ مطلَبٌ ومقصدٌ من مقاصدِ الشّارعِ ، فالدّينُ كُلُّه يدورُ حولَ تزكيةِ النّفسِ لتعبدَ ربّها بحقٍّ وصدقٍ ، وتبتَعُد عن مساخطِهِ ومناهيه بِإرَادةٍ وعَزْمٍ .

وما أحوجَ أمتَنَا اليومَ إلى تزكيةِ النفوس على منهاج النبوة .

- الأُمةُ التي يُرادُ اليوم تغييبُهَا عن دينها الحقّ .

- الأُمةُ التي غُزِّيَتْ بأفكارِ الكفَّارِ وعقائد المشركين .

- الأُمةُ التي تَخلَّقتْ بأَخلاقِ المغضُوبِ عليهم والضَّالّين .

والأُمةُ التي ضُرِبَت عليها الذلةُ والتّمزقُ لأنها أخذت بأَذْنَابِ البَقَرِ فحلَّ فيها الوَهَنُ وكراهةُ الموت .

- الأُمةُ التي خَارتْ قُواها عن مفهوم « الله أكبر» فأصبحت ترى قُوى الغرب الكافر هي الأكبر .

- الأُمةُ التي نَسَتْ أَو نُسيت مجدَهَا وتاريخها وبطولاتها ونماذج العزَّةِ والكرامة في تاريخها المجيد .

تستبدل سيرة محمد بن عبد الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وخالد وسعد والقَعْقَاعِ والمثنى وسعيد بن جبير وابن سيرين والسُّفيانَيْنِ وأحمد والبخارى ومسلم وابن تيمية وابن القيم وابن كثير والذهبى ومحمد بن عبد الوهاب بسيرة (مايكل ونجاة وهلاك وفريد وعادل إمام ورقصة الراب) . . . إِلخ قائمة السّفلةِ والتَّافهينَ ، ما أحوجَ هذه الأمةَ اليوم إلى إعادة النظر في تربيتها وتزكيتها وإخراج أَوْشَاب التربية الضالة والمناهج الضالة حتى تصلحَ القلوبُ لتكون مقرًا لوحي علام الغيوب .

وتاريخنا مشرق بالنماذج الإيمانية الصادقة التي زَكَتْ نفوسُهَا وزكّت غيرَهَا بما تعلَّمته من علم الشَّريعةِ الغَرّاء .

ومن هؤلاء الأَعلام شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله .

وقد يسر الله تعالى لي رحلة علمية لمكتبة السليمانية باستانبول للاطلاع على مخطوطاتها ونفائِسها فكان من خيرة ما رأيته في تلك المكتبة رسائل (مجموعة عاشر أفندي) التي تحمل رقم ١١٥٤ حيث حوت هذه المجموعة عدة رسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وأجزل مثوبته .

ويسر الله تصوير مجموعة طيبة منها . ولما عدت إلى أم القرى مهبط الوحي والرسالة قمت بمقابلة هذه الرسائل المخطوطة على المطبوع من كتب ذلك الإمام الهُمَامِ . وكانت هذه الرسالة « تزكيةُ النَّفْسِ » من ضمن تلك الرسائل . وبالمقابلة مع مطبوعتها في الفتاوى جـ ١٠/ ٦٢٥-٦٤٠ وجدت أن المطبوعة مخرومة خرمًا كبيرًا يخلُّ بالمعنى حيث زادت المخطوطة على المطبوع بأكثر من ١٥٠ سطرًا . أي ما يقارب سبع صفحات من القطع الكبير ، فعزمت على تحقيق هذه الرسالة لتخرج كاملة لأول مرة وتسد ثَغْرةً في مسيرتنَا العلمية والدَّعوية اليوم .

وقد قدمت للرسالة بدراسة عن تزكية النفس آمل أن تكون - إن شاء الله - دراسة موفقة مُسَدَّدة حول هذه المسألة العَقَدِيَّة التربوية الهامة وآخر دعوانَا أنِ الحمدُ للَّه ربِّ العالمينَ .

فقير عفو ربه ورحمته

محمد بن سعيد القحطاني

١٠ رمضان ١٤١٤هـ

مكة المكرمة حرسها الله من
كل سوء ومكروه.

شيخ الإسلام ابن تيمية

إن العَلَمَ لا يُعرَّف ، والشمس لا يبرهنُ على وجودِها ؛ وصَدَقَ القائلُ :

وليسَ يصحُ في الأذهانِ شيءٌ إذا احتاجَ النَّهَارُ إلى دليل

الإمام القدوة : شيخ الإسلام ، مفتي الأنام ، بطل الإصلاح أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني(ت ٧٢٨هـ) كتبت في سيرته العطرة المجلدات ، لذا لا أظن أنني بحاجة- أنا والقارئ- إلى إبراز ترجمة تفصيلية لهذا الإمام العلم ، فقد شرّق ذكرُه في الآفاق وغرّب ، ولكن أرى أن أُلمح إلى نقاط هامة في ترجمته ، مثل أهم كتبه ، وأبرز تلاميذه ، وأشرس خصومه . وفي هذا قدر كافٍ لمن أراد الوقوفَ على عظم قدر هذا الإمامِ .

ولقد قام باحث فاضل هو الشيخ محمد بن إبراهيم الشيباني بدراسة قيّمة بعنوان « أوراق مجموعة من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية » وهو جهد يذكر فيشكر في حصر ما وصل إليه علمه ممن ترجم لشيخ الإسلام في القديم وفي الحديث من ص ١٨٨- ٢١١ .

ولقد وُفِّقَ – جزاهُ اللّهُ خيرًا- في ذلك توفيقًا كبيرًا . لذا أجد أن من التكرار المُمِلِّ ذكر ذلك وسرده ، بل الإحالة لمن سبق أجدر بالذكر

من التكرار الممل ومن أحيل على ملئ فليحتل .

ولد شيخ الإسلام – رحمه الله – سنة ٦٦١هـ وتربى فى أُسرة علمية موفقة ، فهو عالم ابن عالم ابن عالم والده الشيخ عبد الحليم بن عبد السلام الفقيه الحنبلي ، وجده عبد السلام بن عبد الله مجد الدين أبو البركات صاحب كتاب المُنْتَقَى .

تتلمذ ابن تيمية على والده وعلى ابن عبد الدائم المقدسي وجمع غفير من أهل العلم مذكورون في كتب ترجمته وسيرته .

أبرز مؤلفات ابن تيمية

١-مجموع الفتاوى ويقع في ٣٧ مجلدًا .

٢-دَرْءُ تعارض العقل والنقل ويقع في ١١مجلدًا .

٣- منهاج السنة النبوية ويقع في تسع مجلدات .

٤- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح .

٥- الاستقامة .

٦- النبوات .

٧- بيان تلبيس الجَهْمية .

٨-الفتاوى المصرية .

٩- الصفدية .

١٠-الرد على المنطقيين .

١١- بُغْيةُ المرتاد .

١٢-الصَّارمُ المسلول على شاتم الرسول .

١٣-اقتضاء الصراط المستقيم .

١٤-شرح العمدة .

١٥-الإيمان .

ورحم الله تلميذه ابن عبد الهادي حيث قال : (وما أُبعد أنّ تصانيفه إلى الأمة تبلغ خمس مئة مجلدة)[1] .

أما أشهر رسائله التي سارت بها الرُّكبان فمنها:

١-التَّدمرية .
٢-الواسطية .
٣-الحموية .
٤-السبعينية .
٥- المراكشية .
٦- التوسل والوسيلة .
٧- البعلبكية .
٨- الفرقان .
٩- الأصبهانية
١٠- رفع الملام عن الأَئمة الأعلام .
١١- الحِسْبة .
١٢- السياسة الشرعية .
١٣-حديث النزول .
١٤-الرسالة المدنية .
١٥- الجواب الباهر .
١٦- الرد على الأخنائي .

أبرز تلاميذ الشيخ

لقد خلّف الإمام ابن تيمية مدرسة فكرية عَقَدِيَّة بارزة آثارُهَا إلى هذا اليوم ، وممن حمل علمه وتلقى على يديه :

(١) العقود الدرية ص ٢٥ .

١- الحافظ الذهبي .   ٢-الحافظ ابن عبد الهادي .

٣- العلامة ابن القيم . ٤- الحافظ ابن كثير .

٥-الحافظ البرزالي .   ٦- الحافظ المزي .

٧-العلامة ابن مفلح . ٨- العلامة ابن الوردي .

٩- العلامة عماد الدين الواسطي .

١٠- شرف الدين بن المنجا .

وغيرهم من المئات الذين تربوا على علمه وفضله .

أبرز خصوم الشيخ

١- الجاشنكير « بيبرس البرجي »

٢- ابن جهبل الشافعي الدمشقي .

٣- صفي الدين الهندي .

٤- القاضي كمال الدين بن الزملكاني .

٥- تقي الدين السبكي .

٦- تقي الدين الأخنائى .

٧- أبو العباس السروجي .

٨- صدر الدين بن المرحل .

٩- الشيخ نصر المنبجي .

١٠- القاضي ابن مخلوف المالكي .

١١- نور الدين البكري .

١٢- ابن عطاء الله السكندري .

١٣- العلاء البخاري .

١٤- يوسف النبهاني .

١٥- زاهد الكوثري .

برز شيخ الإسلام - رحمه الله - في ميدان تخلى فيه كثير من أَهل العلم ذلك هو ميدان الصَّدْعِ بالحقِّ ، ومقارعة الباطل والصبر والاحتساب على ما يلاقي في ذلك . ولم يعش - رحمه الله - كما عاش أصحاب العقل المعيشي الذين يبررون جبنهم وخَوَرَهُمْ في عدم الصَّدْعِ بالحقِّ بأن ذلك هو الحكمة ومعاشرة الناس بالمعروف وخشية الوقوعِ في الفتنة .

ولقد كان جهاده الدعوي غُصَّةً في حلوقِ أصحاب العلم المعيشيّ ، ومنهم ابن مخلوف الذي اشتهر باستعداء السلطان على شيخ الإسلام حتى قال للسلطان اقتله وإثمك في رقبتي[1] تحمل السجن والإبعاد عن أهله ومحبيه فمن سجن قلعة دمشق سنة ٧٢٦هـ إلى سجن حارة الديلم بمصر إلى سجن الإسكندرية .

(١) راجع العقود الدرية.

ولهذا كان - رحمه الله - يقول : المحبوس من حبس قلبه عن ربه ، والمأسور من أسره هواه[1] .

ويقول : « ما يصنع أعدائي بي ، أنا جنتي وبستاتي في صدري ، أين رحت فهي معي لا تفارقني ، أنا حبسي خلوة ، وإخراجي من بلدي سياحة وقتلي شهادة » [2] . ولقد مات رحمه اللهُ سنة ٧٢٨ هـ وكان يوم جِنَازتِهِ يومًا مشهودًا ، فرحمه الله رحمة واسعة .

(١) ذيل طبقات الحنابلة ٢ / ٤٠٢.
(٢) ذيل طبقات الحنابلة ٢ / ٤٠٢.

تزكيةُ النَّفسِ

إن الله سبحانه وتعالى قد جعل هذا الدين القويم ضياءً ونورًا لعباده لإخراجهم من الظلمات إلى النور ، ومن الجاهلية إلى الإسلام ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة .

قال تعالى ﴿ **الله وَليُّ الَّذينَ آمنُوا يُخْرِجُهُمْ مِّنَ الظُّلمَات إلَى النُّور والَّذِينَ كَفَرُوا أوليَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجونَهم منَ النُّور إلَى الظُّلُمَاتِ أولئكَ أَصحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خَالِدُونَ** ﴾ [٢٥٧ : البقرة]

ولهذا تطهرت النفوس من أَوْضَارِ الشِّرْكِ ، وَدَنَسِ الجاهلية منذ أن شُهد بأنه لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله .

« هبت عواصفُ الأقدار في بَيْدَاء الأَكْوَانِ ، فتقلب الوجود وَنَجَم الخيرُ فلما ركدت الريحُ إذا أبو طالب غريقٌ في لُجَّةِ الهلاك ، وسلمان على ساحل السلامة ، والوليد بن المغيرة يقدم قومه في التيهِ ، وصُهَيْب قد قدم بقافلة الروم ، والنجاشي في أرض الحبشة يقول : لبَّيْكَ اللهم لبَّيْكَ . وبلال ينادي : الصلاة خير من النوم ، وأبو جهل في رَقْدِةِ المخالفة »[1] .

قال الله تعالى : ﴿ **ونَفْس ومَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وتَقْواهَا قَد أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَد خَابَ مَنْ دَسَّاهَا** ﴾ [٧ – ١٠ الشمس]

(١) الفوائد لابن القيم ٥٢ – ٥٣ تعليق صابر يوسف ط ٣ / ١٣٩٦هـ .

ولا يحس بعظمة وروعة التزكية الإيمانية إلا من عرف الجاهلية ، ولهذا كان الجيل الأول خير من قدَّر هذه النِّعْمَةَ حقَّ قَدْرِهَا ذلك أنهم أدركوا حقًّا البَوْنَ الشَّاسِع بين الإيمانِ والكُفْرِ ، وبين العبودية لله والعبودية للطَّوَاغيتِ ، وبين الحرية في خلوص النفوس لربِّهَا ، وَشَتَاتهَا بين أربابٍ مزيفة .

لذلك كانت معرفتهم بهذا الدين معرفة من أدرك أنه حقيقة مركبة (من معرفة ما جاء به الرسول ﷺ علمًا ، والتصديق به عقدًا ، والإقرار به نطقًا ، والانقياد له محبة وخضوعًا ، والعمل به ظاهرًا وباطنًا ، وتنفيذه والدعوة إليه بحَسْبِ الإمكان ، وكماله في الحب لله . والبغض في الله ، والعطاء لله ، والمنع لله ، وأن يكون الله وحده إلهَه ومعبودَه ، والطريق إليه : تجريد متابعة رسوله ظاهرًا وباطنًا ، وتغميض عين القلب عن الالتفات إلى سوى الله ورسوله)[1] .

وتَدْسِيةُ النفس وَطَمْرُها في مَهَاوِي الضَّلالِ : مرضٌ قديم جديد في حياة الناس ، ولهذا كان من مِنَّةِ رب العالمينَ على عباده أن أمرهم بالتذكير فقال : ﴿ فَذَكِّر إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّر ﴾ [٢١: الغاشية]

وقال : ﴿ فَذَكِّر إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ﴾ [٩ : سورة الأعلى]

وقال﴿ وَذَكِّرْ فإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ المؤْمِنينَ ﴾ [٥٥ الذاريات]

ولهذا إذا رأيت العقل يؤثر الفاني على الباقي فاعلم أنه قد مسخ ومتى رأيت القلب قد ترحّل عنه حب الله والاستعداد للقائه وحلَّ فيه حب المخلوق ، والرضى بالحياة الدنيا والطُّمَأْنينة بها فاعلم أنه قد

(١) المصدر السابق ص ١٤٣ .

خسف به ، ومتى أَقْحطَتِ العين من البكاء من خشية الله تعالى فاعلم أن قَحَطَهَا من قسوة القلب .

وأَبعد القلوب من الله القلب القاسي . . . ومن ركب ظهر التفريط والتواني نزل به في دار الحسرة والندامة . . ومن أَدْلَجَ في غَيَاهِبِ الليل[١] على نَجَائِبِ[٢] الصبر صبحَ منزل السرور ، ومن نام على فراش الكسل أَصبح مُلقى بَوادِي الأَسف) [٣] .

إن الإيمان بالله ولوازمه وأركانه وسننه والبعد عن نواقضه كلها طرق تُهَذِّبُ النفس البشرية وتنقيها ، والقلبِ ملكها في ذلك فإذا زكى ذلك القلب فالأَعضاء عسكره المطيع لأَمره .

يقول في هذا العلامة ابن القيم - رحمه الله - (فالجيوش الإِسلامية كلها تحت لوائه ، ناظرة إليه ، إن ثبت ثبتت . وإن انهزم وَلَّتْ على أدبارِهَا) [٤] .

والآفات والمؤبقَاتُ المدَنِّسةُ للنفس البشرية كثيرة جدًّا من أهمها : الكفر والشرك ، والنفاق والشك ، والخوف من غير الله ، واتِّباع الهوى ، والكِبْرُ والشح ، والجبن والحسد والجَزَعُ ، والغرور وحب الرياسة ، وبحر التمني ، والعلو في الأَرض ، والحَمِيَّةُ للنفس والغضب لها والإِسراف والغِيبَةُ والنميمة والرِّشْوَةُ والذل ، والعجز والتسويف ، والتقصير والغلو والعَجَلةُ والشكوى ، والطمَع والهَلَعُ .

ولذا سأتحدثُ عن أهم الأمورِ التي تحصل بها تزكيةُ النَّفْسِ إجمالًا

(١) غياهب : جمع الغَيْهَب وهو شدة سواد الليل . وأدلج : أي سار من آخر الليل .
(٢) نجائب الأشياء : لبابها وخالصها . ونجائب الإبل : خيارها .
(٣) بدائع الفوائد ٣ / ٢٢٤ .
(٤) الروح ص ٣٠٦ .

وليس تفصيلًا وهى :

١- الإيمان والتوحيد .

٢-المتابعة لرسول الله ﷺ .

٣- الفرائض والواجبات والسنن .

وهذا هو الطريق الشرعي لتزكية النفس ، وليس كما تزعم الصوفية المنحرفة التي تهرب بالنفس عن واقع الناس ، وتتخلى عن الواجبات والسنن ، وعن الشرائع والتكاليف ، زاعمة أن الخَلَواتِ والكهوف والمفازات ، والإغراق في أذكارِ بدعيةٍ : هي الطريق لتصفية النفس وتزكيتها من الرذائل !! إنها قد استغنت بمواجيدِهَا وخُزَعْبلاتِهَا عن الكتاب والسنة ، فقد حل الذوق والكشف والعلم اللدني وعبارة « حدثني قلبي عن ربي » مكان الانقياد والاتباع والتنفيذ لأوامر الله والبعد عما نهى عنه رسوله ﷺ . ولنعد الآن إلى التزكية الشرعية السنية وبما تتحقق :

أولًا : الإيمان والتوحيد

لا ريب أن رأس الأمر كله في تزكية النفس هو الإيمان والتوحيد لله رب العالمين ، فإفراده بالعبادة والانقياد له ، والتسليم بشرعه ، وتمام الذلّ له مع تمام الحب :هذا كله لب الإيمان والانقياد لرب العالمين .

ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (ولن يستغني القلب عن جميع المخلوقات إلا بأن يكون الله هو مولاه الذي لا يعبد إلا إياه ، ولا يستعين إلا به ، ولا يتوكل إلا عليه ، ولا يفرح إلا بما يحبه ويرضاه ، ولا يكره إلا ما يبغضه الربُّ ويكرهه ، ولا يوالي إلا

من والاه الله ، ولا يعادي إلا من عاداه الله ، ولا يحب إلا لله ، ولا يبغض شيئًا إلا لله ، ولا يعطي إلا لله ، ولا يمنع إلا لله ، فكلما قوى إخلاص دينه لله كملت عبوديتُه واستغناؤه عن المخلوقات ، وبكمال عبوديته لله يبرئه من الكِبْرِ والشِّرْكِ) (١) .

ولهذا يقول المصطفى ﷺ : « من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله ، وأن عيسى عبدُ الله ورسوله ، وكلمتُه ألقاها إلى مريمَ وروحٌ منه ، والجنة حقٌّ ، والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل » متفق عليه(٢) .

والعدو الأكبر للتوحيد والإيمان هو الشرك الذي سماه الله ظلمًا عظيمًا فقال : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [١٣ : لقمان]

ولذا ورد في الحديث القدسي « يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ، ثُمَّ لقيتنى لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً » (٣) .

وإذا أردت الوقوف – أيها القارئ الكريم– على أثر التوحيد في النفس البشرية فَأَرِعْ سمعكَ معي لهذه الكلمة الطيبة المباركة التي دَبَجَهَا يَراعُ العلامة الجهبذ شمس الدين ابن القيم – رحمه الله – حيث يقول : (فعلم العبد بتفرد الرب تعالى بالضر والنفع ، والعطاء والمنع ، والخلق والرزق ، والإحياء والإماتة :يثمرُ عبودية التَّوكلِ عليه باطنًا ، ولوازم التوكل وثمراته ظاهرًا .

وعلمه بسمعه تعالى وبصره وعلمه وأنه لا يخفى عليه مِثْقَالُ ذرةٍ

(١) مجموع الفتاوى ١٠/ ١٩٨ .
(٢) صحيح البخارى كتاب الأنبياء باب ٤٧ ح ٣٤٣٥ وصحيح مسلم كتاب الإيمان ح ٢٨ .
(٣) الترمذى كتاب الدعوات ٥ / ٥٤٨ ح ٣٥٤٠ وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع ٤٣٣٨.

في السماوات ولا في الأرض ، وأنه يعلم السر وأخفى ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور : يثمر له حفظَ لسانِهِ وجوارحه وخَطَرَاتِ قلبه عن كل ما لا يرضي الله ، وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه فيثمر له ذلك الحياء باطنًا ، ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح ، ومعرفته بغناه وجوده وكرمه وَبِرِّهِ وإحسانه ورحمته : توجب له سَعَةَ الرجاء وتثمر له كذلك من أنواع العبودية الظاهرة والباطنة بحَسْب معرفته وعلمه .

وكذلك معرفته بجلال الله وعظمته وعزّه : تثمر له الخضوع والاسْتِكَانة والمحبة ، وتثمر له تلك الأحوال الباطنة : أنواعًا من العبودية الظاهرة هي موجباتها . وكذلك علمه بكماله وجماله وصفاته العلى : يوجب له محبة خاصة بمنزلة أنواع العبودية . فرجعت العبودية كلها إلى مقتضى الأسماء والصفات ، وارتبطت بها ارتباط الخلق بها ، فخلقه سبحانه وأمره هو موجب أسمائه وصفاته في العالم وآثارها ومقتضاها لأنه لا يتزين من عباده بطاعتهم ولا تشينهُ معصيتُهُم)(1) .

والنظر في أحوال الأخيار من سلف هذه الأمة يعطي صورة صادقة لأثر التوحيد في النفس البشرية .

هذا بلال رضي الله عنه يستعذبُ العذابَ في سبيل ربه ، وينادي عليه الطغاة أنِ اكفُر ونكف عنك فكان الجواب : أحدٌ أحد ؛ لأنه مزج طعم الإيمان بشدة الألم فغلبت حلاوةُ الإيمانِ ما يلاقيه من عَنَتٍ

وهَلْ أَنتِ إلا أصبع دميتِ وفي سبيلِ اللهِ ما لقيت

(1) مفتاح دار السعادة ٢ / ٩٠ ، وانظر الأسماء والصفات للأشقر ص ٢٢ .

وهؤلاء آل ياسر : يتعرضون لأشد أنواع الأذى ، فكانوا يشعرون بلذة استعلاء الإيمان فوق كفر الجاهلية وطغيان أبي جهل وحزبه ، ويتأملون قول الصادق الأمين لهم : « أَبشِرُوا آلَ عمَّارٍ فإنَّ مَوْعِدَكُمُ الجنَّةُ »(١) فتهون عليهم الدنيا وعذابها وألمها . وقبلهم ذلك الغلام الذين سجل أروع بطولة حين آمن بالله فقال للطاغية : لن تقتلني حتى تجمع الناس وتقول : بسم الله رب الغلام ثم ترميني ، فلما مات انتصرتْ الدَّعوةُ ، وآمنَ النَّاسُ بربِّ الغلام فكان ما كان ...﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنهُم إلَّا أَنْ يُؤْمِنوا باللَّهِ العَزِيزِ الحَمِيدِ ﴾[٨ : البروج]

وقبله يوسف بن يعقوب عليه السلام حيث قال : ﴿ يَاَ صَاحِبَى السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَم اللَّهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَأَبَاؤُكُم مَّا أَنزلَ اللَّهُ بهَا من سُلْطَانٍ إِنِ الحُكْمُ إِلَّا للَّهِ أَمَر أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ ولكنَّ أَكْثَرَ النَّاس لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [٣٩ - ٤٠ : يوسف] وقبله إمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم باللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بالأَمْنِ إن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [٨١ : الأنعام] .

ثانيًا : المتابعة لرسول الله ﷺ

كانت هذه الأمة قبل بعثة رسول الله ﷺ تعيش في جاهليةٍ جَهْلاء وضلالة عمياء ، وأَصنام وأَوثان ، وأَوهام وأَزلام ، تعبد من دون الواحد الأحد ، فبعث الله محمدًا ﷺ نورًا يمزق ظلام الجاهلية ، وهاديًا يقودها إلى النجاة والفلاح ، ومزكيًا للنفوس من أدران الجاهلية ورجس

(١) تخريجه : طبقات ابن سعد ٣ / ٢٤٩ وانظر السيرة النبوية الصحيحة للدكتور أكرم العمرى ١ / ١٥٦ الطبعة الأولى ١٤١١هـ قطر .

شركها . قال الله تعالى في ذلك : ﴿ **كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُم رَسُولًا مِّنكُمْ يتلُوا عَلَيْكُم آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الكِتَابَ والحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ** ﴾ [١٥١ : البقرة] .

وهو دعوة جده إبراهيم عليهما السلام حيث دعا خليل الرحمن ربه سبحانه أن يخرج من أبناء هذه البلدة- مكة المكرمة- من يزكي أهلها بنور الإسلام ﴿ **رَبَّنَا وابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا منْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ ويُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ والحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ** ﴾ [١٢٩: البقرة] .

فكانت هذه الرسالة ورسولها مِنَّةً من الله عظيمة على هذه الأمة كما قال ربنا تبارك وتعالى : ﴿ **لَقَد مَنَّ اللَّهُ عَلَى المُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيْهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ والحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** ﴾ [١٦٤ : آل عمران] ﴿ **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُم يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ والحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** ﴾ [٢: الجمعة].

وقد جعل الله هذا النبي العظيم أُسْوةً وقدوة لنا فقال تعالى : ﴿ **لَقَد كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ والَيومَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** ﴾ [٢١ : الأحزاب] .

بل حجب الله قبول شَطْرِ الشهادة الأول إذا لم يشهد المكلف بشِقِّهَا الثاني « محمد رسول الله » .

وحين ادعى أناس محبة رسول الله ﷺ امتحنهم الله بهذه الآية

﴿ قُلْ إِنْ كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [٣١: آل عمران]
ولهذا لن تتزكى نفس بشرية حتى يكون الرسول ﷺ هو أُسْوتُهَا وقدوتها ، وكل من التمس التزكية في غير منهاج النبوة فهو من الخاسرين ، وممن زين لهم الشيطان سوء أعمالهم وصدَّهُمْ عن السبيل .

وتزكية النفس بمتابعته ﷺ في أقواله ، وأعماله ، وأخلاقه هي البرهان الصادق على توحيد المتابعة له عليه السلام .

وحياته - صلوات الله وسلامه عليه - كُلُّهَا دروس في تزكية النفوس .

في إيمانه وتوحيده ، وفي الصبر وقول الحق ، وفي الحِلْمِ والكَرَمِ ، وفي جهاده وصلاته ، وفي حجه وزهده ، وفي خُلُقِهِ ومعاشرته ، وفي أدبه وسَمْتِهِ .

وفي صلة الأقارب والأرحام ، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي كل صغيرة وكبيرة هو القدوة والأُسْوةُ ، وأَكْرِمْ بِنَفْسٍ تَزَكَّتْ بمتابعته عليه الصلاة والسلام ، فهي السعيدة في هذه الحياة وهي الناجية يوم القيامة وهي من سكان جَنَّةٍ عرضُهَا السَّمَاواتُ والأَرضُ بإذن الله تعالى .

ثالثاً : الفرائض والواجبات

إن فروض الإسلام وواجباته وأَركانه وسننه ومستحباته : كلها مما يُزَكّي النفس البشرية ويصقِلُ جوهرها ، بل كل فعل أو أمر أو سنة أو واجب له أثر كبير في تزكية النفس بما لا يسع الكلام فيه إلا في صفحات كثيرة . ولكنني أشير إشارات سريعة إلى بعض آثار الفرائض والواجبات في تزكية النفس وتخليصها من دَنَسِ المعصية والسوء .

ففي **الصلاة** مثلًا يقول الله تعالى : ﴿ **وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ والمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ واللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** ﴾ [٤٥ : العنكبوت] .

ويقول ﷺ : « مَا مِن امْرِئٍ مُسْلِم تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ يُؤْتِ كَبِيرَةً وَذَلِكَ الدَّهرَ كُلَّهُ » (١) والمراد بالمكتوبة المفروضة كما قال ﷺ في الحديث القدسي : « وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ » (٢) .

وقال ﷺ في شأن تنقية وتزكية الصلاة للنفس ولصاحبها : « أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خمسَ مَرَّاتٍ ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيءٌ ؟ قَالُوا : لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيءٌ . قَالَ : فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الخَطَايَا » (٣) .

(١) صحيح مسلم كتاب الطهارة ح ٢٢٨ .
(٢) صحيح البخارى كتاب الرقاق باب التواضع ١١ / ٣٤١ ح ٦٥٠٢ .
(٣) صحيح البخارى كتاب المواقيت ، باب الصلوات الخمس كفارة ١ / ١٥٢ ح ٥٢٨ ومسلم ح ٦٦٧.

والزكاة : تخلص النفس من الشح والطمع والبخل ، وَتُنَقِّي النفسَ وترفعها فوق حب الدِّرْهَم والدينار . قال تعالى : ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا** ﴾ [التوبة : ١٠٣] .

وللزكاةِ دورٌ فريد في حياة الناس ، إذْ هي من أكبر عوامل نشر الأمن وحب المؤمنين لبعضهم بعضًا ، فهناك شعور من الغني بعبوديته لربه في هذا المال ، فكانت هذه العبادة المالية مِنَّةً كبيرةً من الله عليه ، يصرفها طَيِّبَةً بها نفْسُه لمن يستحقها ، وكان قبول الفقير لها مِنَّةً مَن الله عليه ، أن أحلَّ له هذا المال ما دام محتاجًا إليه ولا يجده .

فماذا ترى في كيفية العلاقة بين ذلك الغني المُزَكِّي وذلك الفقير المستقبل ؟ إنها علاقة رحمة ومودة وحب وأخوة إيمانية ، ولهذا تختفي الجريمة والسرقة أو تكاد في مجتمع تؤدى فيه فريضة الزكاة ، ويسود القتل والسطو والاختطاف والابتزاز في المجتمعات التي لم تنعم بنعمة تأدية الزكاة ، وانظر إلى حالة العالم الغربي المعاصر وحراساته المشددة وأَجهزته المتطورة التي اخترعت لحماية الغني من الفقير . وأَنَّى لها أن تصل بأمن المجتمع إلى ما وصل به دين الله الحق .

والصيام : تزكيةٌ وتصفيةٌ للنفس البشرية ، يقول ﷺ : « مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إيمَانًا واحتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ من ذنبه ، ومَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إيمَانًا وَاحتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ »[1] .

وقال ﷺ في شأن صيام يوم عرفة : « أَحتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ

(١) صحيح البخارى ، كتاب الصوم ، باب من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا ٤ / ١١٥ ح ١٩٠١ ، ٢٠٠٨ ، ٢٠١٤ ، ومسلم ح ٧٥٩ .

السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ والَّتِي بَعْدَهُ »[1] .

وفي شأن **الحج** : يقول ﷺ : « مَنْ حَجَّ هَذَا البَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ »[2] وقال ﷺ : « العُمْرَةُ إِلَى العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لما بَيْنَهُمَا ، والحَجُّ المبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّـةُ»[3] .

وليس هذا فحسب في أثر الفرائض ، بل إن حسن الخلق له أكبر الأثر في تزكية النفوس يقول ﷺ : « إِنَّ المُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسنِ الخُلُقِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ القَائِمِ »[4] وقال ﷺ : « أَنا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ »[5] والدين الإسلامي كله خلق ، وكله تزكية للنفس .

أما اجتناب المحرمات : فهو من أهم الأمور التي عنيَتْ بها الشريعة تزكية للنفس وطهارة لها من أَوْضَارِ الإثم وَدَنَس المعصية ، قال الله تعالى : ﴿ **قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ** ﴾ [النور : ٣٠] ثم جاء الخطاب للنساء في قوله تعالى : ﴿ **وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ** ﴾ [النور : ٣١] . فتزكية النفس لا تحصل إلا بترك الفواحش والمنكرات كما بيَّن هذا شيخ الإسلام في هذه الرسالة التي بين يديك .

---

(١) صحيح مسلم ، ١١٦٢ كتاب الصوم .
(٢) صحيح البخارى ٢ / ١٦٤ ومسلم ح ١٣٥٠ كتاب الحج .
(٣) صحيح مسلم ح ١٣٤٩ كتاب الحج .
(٤) أحمد ٦ / ٩٤ وأبو داود (٤٧٩٨) ، كتاب الأدب باب حسن الخلق .
(٥) أبو داود ح ٤٨٠٠ كتاب الأدب باب حسن الخلق .

رسالة تزكية النفس
لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

هذه الرسالة - تزكية النفس- على صغر حجمها تعتبر دُرَّةً من درر علم شيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن تيمية - رحمه الله - ، وقد تحدث فيها عن الأمور التالية:-

١ - بيّن - رحمه الله - في أول الرسالة أصلًا أصيلًا لهذه المسألة وهو :أن تزكية النفس تكون بترك المحرَّمَات وفعل المأمورات ، ثم بين أن البر والتقوى يبسط النفس ويشرح الصدر ، وأن الفجور والبخل يَقْمَعُ النفسَ ويصغرُهَا وَيُهينُهَا .

٢ - بيّن - رحمه الله - أن التوحيد والإيمان أعظم ما تتزكى به النفس ، وأن الشرك أعظم ما يُدَنِّسُهَا .

٣ - بيّن - رحمه الله - أن الكفر يمنع الإيمان وقد يرفعه بعد حصوله والسيئات قد تمنع الحسنات وقد ترفعها بعد الحصول ، ثم عرج على الإحباط الذي ذهب إليه الخوارج والمعتزلة ، وهو زعمهم أن السيئة الواحدة الكبيرة تحبط جميع الحسنات حتى الإيمان ، وأن من مات مصرًا على الكبيرة لم يكن معه من الإيمان شيء أصلًا بل هو مخلد في النار .

فأما حبوط الحسنات كلها بالكفر فقد ذكر - رحمه الله - الإجماع بين المسلمين على أن الردة تحبط الأعمال كلها قال الله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُم فِي الدُّنيا والآخِرَةِ وَأُولئكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ [٢١٧ : البقرة].

وأما أصحاب الكبائر فما كفّرهم وخلّدهم في النار إلا الخوارج والمعتزلة ومذهبهم معلوم البطلان بين الناس .

يقول الشيخ - رحمه الله - في هذا : « فإن الله ذكر في القرآن حدَّ الزاني والسارق والقاذف ولم يجعلهم كفارًا مرتدين حابطي الأعمال، ولا أمر بقتلهم كما أمر بقتل المرتدين... وقد أمر ﷺ أصحابه بالصلاة على الغَال وعلى القاتل نفسه ، ولو كانوا كفارًا أو منافقين لم تجز الصلاةُ عليهم ، فعلم أنهم لم يحبط إيمانهم كله ، وقال فيمن لعن مدمن الخمر : « لاَ تَلْعَنْهُ فإنَّهُ يُحبُّ اللَّهَ ورسوله » . . . والمعتزلة يدعون أنهم العَدليةُ فأيُّ عدل فى أن تكون سيئة واحدة تحبط حسنات كثيرة أعظم منها قدرًا ووصفًا ؟ وقد ثبت في الصحيح حديث أبي ذر « وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرقَ » .

٤- ثم ناقش - رحمه الله - مسألة تابعة للمسألة السابقة وهي : هل السيئات تحبط بقدرها من الحسنات ؟ وهل تحبط بعض الحسنات بذنب دون الكفر؟ فبين أن في المسألة قولين لأهل السُّنَّةِ ، فمنهم من ينكر الإحباط مطلقًا ، ومنهم من يقول بذلك في البعض كما دلت عليه النصوص(١) .

(١) لابن القيم بحث نفيس فى هذه المسألة فى مدارج السالكين ١ / ٢٧٨ - ٢٨٢ فليراجع .

٥- ثم تحدث - رحمه الله - عن وزن الحسنات والسيئات ، وهل الموزون الصحائف أو الأعمال ؟ ثم بسط القول في المسألة وخلاف الناس في قَلْبِ الأعراض أجسامًا ، فمنهم من يُجَوِّزُ ذلك ، ومنهم من لا يُجَوِّزُهُ . ثم خلص إلى أن الوزن على وجهين :

أ - أن يوضع بإزاء الحسنات والسيئات ما يعرف به مقدارها ثقلها وخفتها ، كما توزن الأموال .

ب - والثاني أن يوزن أحدهما بالآخر ، كما توزن دراهم زيد بدراهم عمرو ، مستدلًا على هذا بحديث البطاقة .

عملي في هذه الرسالة

١- قمت بنسخ المخطوطة مع مقابلتها على المطبوع ضمن المجلد العاشر من مجموع الفتاوى .

٢- خرجت أحاديثها بقدر الطاقة مع التعليق على المسائل الهامة وعَزو الآيات إلى سورها وذكر أرقامها .

٣- من أهم ما وفقت إليه في إخراج هذه الرسالة - ولله الحمد على ذلك - هو أن الرسالة طبعت مبتورة في الفتاوى ثم طبعت طبعة مستقلة .

وفي هاتين المطبوعتين نقص لا يقل عن مئة وخمسين سطرًا من المخطوطة التركية ، التي جعلتها أصلًا لتحقيق هذه الرسالة .

وإني لأجدها مناسبة سَانِحَةً هنا في حثِّ طلاب العلم المختصين في العلوم الشرعية على الحرص في جمع مخطوطات كتب ورسائل ابن تيمية - رحمه الله - فإن الشيخ ابن قاسم - رحمه الله - وابنه محمدًا وفقه الله قد بذلا جهدًا عظيمًا ، نسأل الله أن يثقلَ به موازينهما ، ولكنهما بشر من البشر .

ولهذا لاحظت -ولاحظ غيري- أن هناك رسائل بها خُرومٌ ليست بسيطةً في المجموع المطبوع .

فلو أن الجامعات والمؤسسات العلمية جندت من هو أهل لجمع هذا التراث العظيم ، ومقابلته وتحقيقه تحقيقًا علميًا ، لكان في ذلك فائدة كبرى تخدم العلمَ الشرعيَّ أولًا ، ثم هي من حقوق شيخ الإسلام على محبيه وعارفي فضله ، والله المستعان .

٤- ختمت الرسالة بفهارس علمية .

هذا ما يسَّره الله لي ، ولا أستغني أبدًا عن أى ملاحظة ، أو نقد علمي يوجه لعملى ، فكلنا بشر نخطئ ونصيب ، والله أسأل أن يجنبَنَا الزَّللَ ، ويلهِمَنا رشدَنا ، ويقينا شَرَّ أنفسِنَا ، والحمد لله ربِّ العالمين .

وصف النسخة المخطوطة

هذه الرِّسَالةُ يوجد أصلُهَا المخطوط بالمكتبة السليمانية باستانبول ضمن رسائل مجموعة عاشر أفندي ذات الرقم ١١٥٤.

كتبت بخط نسخ جيد ، يغلب على ظني أنها كتبت سنة ٧٣٥هـ ، وسبب ترجيحي لذلك هو : أن هذا المجموع من ضمن رسائله : العقيدة الواسطية . وقد كتب ناسخها في آخرها العبارة التالية:

(نجزت تعليقًا في خامس ذي القعدة من سنة ٧٣٥هـ ، بلغ مقابلة بأصل المنقول منه) واسم هذا الناسخ محمد بن أبي بكر الحنبلي ، وهذا الخط في الواسطية هو نفس الخط الذي كتبت به رسالتنا هذه ، ويوجد على الصفحة الأولى من المخطوطة ختم وقفية كبيرة ، كتب فيه ما يلي:

(حسبي الله . بسم الله الرحمن الرحيم . وقف هذا الكتاب مصطفى رئيس الكتاب السابق لوجه الله الخالق ، وسلم للمتولي ، وحكم بصحته حاكم الشرع الشريف ، وشرط الاستفادة منه لأولاده قيم قيم وبعدهم : يعمل به كما في الوثيقة إلى قيام الساعة ، وأخزى الله من اشتراه وباعه ١١٥٤) .

أما عدد صفحاتها فهو ستة عشر صفحة من القطع الكبير ، كل صفحة أسطر كل صفحة ٢٣سطرًا .

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله اجمعين وسلم تسليما فصل

في تزكية النفس وكيف تزكو بترك المحرمات مع فعل المامورات قال الله تعالى قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى وقال تعالى قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها قال قتادة وابن عيينة وغيرهما قد افلح من زكى نفسه بطاعة الله وصالح الاعمال وقال ابو الزجاج معنى زكاها طهرها من الذنوب واصلحها بالطاعة وقيل قد افلحت نفس زكاها الله وخابت نفس دساها الله وهذا قول الفراء والزجاج وكذلك ذكره الوالبي عن ابن عباس وهو منقطع لا يثبت وليس هذا مراد الاية بل المراد بها هو الاول قطعا لفظا ومعنى اما اللفظ فقوله من زكاها اسم موصول ولا بد فيه من عائد على من فاذا قيل قد افلح الشخص الذي زكاها كان ضمير الفاعل في زكاها يعود على من وهذا وجه الكلام الذي لا ريب في صحته كما قال قد افلح من اتقى الله وقد افلح من اطاع ربه وقد افلح من خاف مقامه

واما اذا كان المعنى قد افلح من زكاه الله لم يبق في الجملة ضمير يعود على من فان الضمير على هذا يعود على الله وليس هو من وضمير المفعول يعود على النفس المتقدمة فلا يعود على من لا ضمير الفاعل ولا ضمير المفعول فتخلو الصلة من عائد وهذا لا يجوز نعم لو قيل قد افلح من زكاها الله نفسه او من زكاها الله له ونحو ذلك صح الكلام وخفاء مثل هذا على من قال بهذا من النحاة عجيب وهو لم يقل قد افلحت نفس زكاها فانه هنا كانت تكون زكاها صفة لنفس لا صلة بل قال قد افلح من زكاها والجملة صلة لمن لا صفة لها [illegible] النفس التي زكاها فانه لو تبين ذلك لجعل في زكاها ضمير يعود على اسم الله صح وانما قال قد افلح من زكاها فاذا تكلف اهل هذا القول وقالوا التقدير قد افلح من زكاها اي النفس التي زكاها وقالوا في زكى ضمير المفعول يعود على من وقالوا من يصلح للمذكر والمؤنث والواحد والعدد فالضمير عائد على معناها المؤنث وتانيثها غير حقيقي ولهذا قيل قد افلح ولم يقل قد افلحت قيل لهم هذا مع انه خروج عن اللغة الفصيحة فانما يصح اذا دل الكلام على ذلك مثل قوله ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا فان قوله منكن دل على ان المراد النساء فقيل تعمل وكذلك قوله ومنهم من يستمعون اليك ونحو ذلك واما هنا فليس في لفظ من وما بعدها ما يدل على ان المراد به النفس المؤنثة فانه لم يقل قد افلحت [illegible] ولا قد افلح النفوس من زكاها وقد تقدمها قوله ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها ثم قال قد افلح

الورقة الأولى من المخطوطة

وقد قال بعض جمهور المفسرين بانه الحركة وقيل ما توزن به وهو اعم مما توزن به الاجسام الثقيلة
والخفيفة وقد قال تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا وقال النبي صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم الثقلين
احدهما اعظم من الآخر كتاب الله وعترتي اهل بيتي فسمى القرآن ثقلا وقال تعالى واخرجت
الارض اثقالها ونال اعظم ثقلها اي وزنه والثقلان الجن والانس ومثقال الشيء ميزانه
من مثله والمقصود هنا ان المسلم الذي وزنت حسناته وسيئاته اما جميعا في ميزان كما
في حديث البطاقة واما بان عرف قدر حسناته وقدر سيئاته بعدل احدهما بالآخر فوجدت سيئاته
راجحة فهذا مستحق العذاب لسيئاته الراجحة فيعذب بها في النار بقدر ما يستحقه ثم يخرج
بتلك الحسنات المرجوحة ولو لم يكن فيها الا مثقال ذرة فبذلك المثقال يخرج من النار ولا يخلد فيها
وليس هو كالذي ليس له حسنات كحال الذين حبطت اعمالهم كلها فلا يقام لهم يوم القيمة وزن
وبهذا يحصل الجواب عن رجحان السيئات والخروج من النار فان هذا اشكل على طائفة
اعتقدوا انه اذا رجحت السيئات لم يبق للحسنات اثر اصلا بل يبقى وجودها
كعدمها وحينئذ فبماذا اذا دخل النار لم يبق معه شيء من الايمان
يخرج به فلهذا قال بعضهم الايمان ليس مما يوزن
بالسيئات وقد تقدم الجواب والله اعلم
آخره والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا محمد
وآله وصحبه اجمعين وسلم
تسليما

الورقة الأخيرة من المخطوطة

النص المحقق



وبه نستعين

[قال شيخُ الإسلامِ أحمدُ بنُ عبدِ الحليمِ بن تيميةَ الحراني رحمه الله[1]] :

الحمدُ للَّهِ ربِّ العالمينَ ، وصلى الله على سيدنا مُحَمَّدٍ وآله أجمعين وسلم تسليمًا .

* * فصل * *

في تزكية النَّفس ، وكيف تزكو بترك المحرمات مع فعل المأمورات ، قال تعالى// : ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ، وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى** ﴾[2] ١٩٠ / ر
وقال الله تعالى : ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا** ﴾[3] .

قال سفيان بن عيينة[4] وقتادة[5] وغيرهما[6] : قد أفلح من زكى

(١) ما بين القوسين أضفته للحاجة إليه .
(٢) الآية ١٤ ، ١٥ : سورة الأعلى .
(٣) الآية ٩ ، ١٠ : سورة الشمس .
(٤) **سفيان بن عيينة** : الإمام الحافظ . أحد أعلام الإسلام . ولد سنة ١٠٧ ومات سنة ١٩٨ هـ قال فيه الشافعى : لولا مالك وابن عيينة لذهب علم الحجاز . حج سبعين سنة . طبقات ابن سعد ٥ / ٤٩٧، تاريخ بغداد ٩ / ١٧٤ ، سير أعلام النبلاء ٨ / ٤٥٤ ، وشذرات الذهب ١ / ٣٥٤ .
(٥) **قتادة** : ابن دعامة السدوسى البصرى الضرير ، حافظ العصر وقدوة المفسرين . ولد سنة ٦٠ هـ وكان من أوعية العلم وممن يضرب به المثل فى قوة الحفظ مات سنة ١١٨ هـ ، طبقات ابن سعد ٧ / ٢٢٩ ، الجرح والتعديل ٧ / ١٣٣ ، والسير ٥ / ٢٦٩ ، والتهذيب ٨ / ٣٥١ ، وطبقات الحفاظ ٤٧ .
(٦) فى المطبوع : قال قتادة وابن عيينة ، وهو الصواب للفرق الزمنى بين الإمامين .

نفسه بطاعة الله وصالح الأعمال(١) .

وقال أبو الفرج (٢): معنى « زكَّاهَا » طَهَّرَها من الذنوب ، وأصلحها بالطاعة .

وقيل:قد أفلحت نفس زكَّاهَا اللَّهُ ، وخابت نفس دسَّاهَا اللَّهُ . وهذا قول الفرَّاء (٣) . والزجاج (٤) ، وكذلك ذكره الوالبي عن ابن عباس ، وهو منقطع لا يثبت ، وليس هذا مراد الآية ، بل المراد بها: هو الأول قطعًا لفظًا ومعنى .

أما اللفظ ؛ فقوله : « من زكَّاهَا » اسم موصول ، فلا بد فيه من عائد على « من » فإذا قيل : قد أفلح الشخصُ الذي زكَّاها ، كان ضمير الفاعل في زكَّاهَا يعود على « من » ، وهذا وجه الكلام الذى لا ريب فى صحته كما يقال : قد أفلح من اتقى الله ، وقد أفلح من أطاع ربه [وقد أفلح من خاف منه] (٥) .

وأما إذا كان المعنى : قد أفلح من زكَّاه الله لم يبق في الجملة ضمير يعود على « من » .

فإن الضمير على هذا يعود على الله على هذا القول ، وليس هو

(١) انظر تفسير القرطبى [الجامع لآحكام القرآن] ٢٠ / ٢١ .
(٢) **أبو الفرج** : هو ابن الجوزى الشيخ الإمام العلامة الحافظ المفسر جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن على بن الجوزى القرشى البغدادى الحنبلى ولد سنة ٥٠٩ هـ ومات سنة ٥٩٧ هـ قال الإمام موفق الدين : لم نرض تصانيفه فى السنة ولا طريقته فيها . السير ٢١ / ٣٦٥ ، والبداية ١٣ / ٢٨ .
(٣) **الفراء** : العلامة صاحب التصانيف أبو زكريا يحيى بن زياد الأسدى الكوفى النحوى . كان ثقة . مات ٢٠٧ هـ وعمره ٦٣ سنة . تاريخ بغداد ١٤ / ١٤٦ ، والسير ١٠ / ١١٨ .
(٤) **الزجاج** : الإمام . نحوى زمانه أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السرى الزجاج البغدادى صاحب كتاب معانى القرآن مات سنة ٣١١ هـ . تاريخ بغداد ٨٩/٦ ، ووفيات الأعيان ١ / ٤٩ ، والسير ١٤ / ٣٦٠ .
(٥) ليست فى المطبوعة .

« من » وضمير المفعول يعود على النفس المتقدمة ، فلا يعود على « من » لا ضمير الفاعل ولا ضمير المفعول ، فتخلو الصلة عن عائد . وهذا لا يجوز .

نعم لو قيل : قد أفلح من زكى اللَّهُ نفسَه ، أو من زكَّاهَا الله له ، ونحو ذلك صح الكلام ، وخفاء مثل هذا على من قال بهذا من النحاة عجبٌ . وهو لم يقل: قد أفلحت نفس زكاها ، فإنه هنا كانت تكون « زكَّاها » صفة لنفس لا صلة ، بل قال : قد أفلح من زكاها ، فالجملة صفة[1] لـ « من » لا صفة لها . ولا قال أيضًا : قد أفلحت النَّفْسُ التي زكَّاها ، فإنه لو قيل ذلك وجعل في « زكاها » ضمير يعود على اسم الله صح ، وإنما قال : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ [٩ : الشمس] فإذا تكلف أهل هذا القول وقالوا : التقدير قد أفلح من زكَّاهَا أي النفس التي زكَّاهَا ، وقالوا في « زكى » : ضمير ، والمفعول يعود على «من» وقالوا : «من» تصح للمذكَّر والمؤنث والواحد والعدد فالضمير عائد على معناها المؤنث ، وتأنيثُهَا غيرُ حقيقي فلهذا قيل: قد أفلح ولم يقل: قد أفلحت ، قيل لهم : هذا مع أنه خروج عن اللغة الفصيحة فإنما يصح إذا دل الكلام على ذلك في مثل قوله : [﴿ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وتَعْمَلْ صَالِحًا ﴾ [2] فإن قوله منكن دل][3] على أن المراد : النساء ، فقيل : تعمل ، وكذلك قوله: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾ [4] ونحو ذلك .

(١) في المطبوعة صلة .
(٢) الآية ٣١ : الأحزاب .
(٣) ما بين المعكوفين ليس فى المطبوعة بل كتب فى هامش ٦٢٧ / ١٠ . بياض بالأصل . والصحيح ما فى هذه النسخة التركية .
(٤) الآية ٢٥ : الأنعام .

وأَما هنا فليس في لفظ « من » وما بعدها ما يدُّل على أن المراد بهذا النفس المؤنثة [فإنه لم يقل : قد أفلحت ، ولا قال: قد أفلح من النفوس من زكَّاها ، وقد تقدَّمها قوله : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ (١) ثم قال :﴿ قَد أَفْلَحَ // مَنْ زَكَّاهَا وَقَد خابَ مَنْ دسَّاهَا ﴾ (٢) فتقدم ما يصح عود ضمير المؤنث إليه ، ولم يتقدم دليلٌ على عَودهِ إلى غير ذلك] (٣) فلا يجوز أن يراد بالكلام ما ليس فيه دليل على إرادته ؛ فإن مثل هذا تلبيسٌ يُصَانُ كلامُ اللَّهِ عَزَّ وجل عنه ، فلو قدر احتمال عود ضمير زكَّاهَا إلى نفس وإلى « من » مع أن لفظ « من » لا دليل يوجب عوده إليه لكان إعادته إلى المؤنث المعلوم تأنيثه أولى من إعادته إلى ما يحتمل التذكير والتأنيث ، وهو في التَّذْكير أظهرُ لعدم دِلالَتِهِ عَلى التأنيث ، فإن الكلام [إذا] (٤) احتملَ معنيينِ وجب حمْلُهُ على أظهَرِهمَا الذي يدلُّ على الكلام [ولا يجوز حمْلُهُ على الآخر بلا دليل إرادته] ومن تكَلَّف غير ذلك فقد خرج عن كلام العرب المعروف ، والقرآن مُنَزَّهٌ عن ذلك ، والعدول عما يدل عليه ظاهر الكلام إلى ما لا يدل عليه بلا دليل لا يجوز البتة فكيف إذا كان نصًّا من جهة المعنى فقد أخبر الله أنه يلهم التَّقْوى والفجور ، ولبسط هذا موضوع آخر .

١٩١ / أ

والمقصود هنا : أمر الناس بتزكية أنفسهم [والتحذير من] (٥) تَدْسِيسِهَا ، كما قال في السورة الأخرى : ﴿ قَد أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى ﴾ (٦)

(١) الآية ٧ - ٨ : الشمس .
(٢) الآية ٩ - ١٠ : الشمس
(٣) ما بين المعكوفين ليس فى المطبوعة .
(٤) من المطبوعة .
(٥) من المطبوعة .
(٦) الآية ١٤ : الأعلى .

فلو قدر أن المعنى : أفلح من زكّى اللَّهُ نفسه لم يكن في هذا أمر لهم ولا نهى ، ولا ترغيب ولا ترهيب ، والقرآن إذا أمر أو نهى لا يذكر مجرد [القدر] فلا يقول : من جعله الله مؤمنًا بل يقول : ﴿ **قَد أَفْلَحَ الْمُؤمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ**﴾ (١) و﴿ **قَد أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ، وذَكَرَ اسْمَ رَبِّه فَصَلَّى** ﴾ (٢) إذ ذكر مجرد القَدَر في الأمر والنهي والترغيب والترهيب يناقض المقصود ، ولا يليق هذا بأضعف الناس عقلًا ، فكيف بكلام الله تعالى؟ ألا ترى أنه في مقام الأمر والنهي والترغيب والترهيب يذكر ما يتناسب ذكره من الوعد والوعيد والمدح والذم ، [والتخصيص والترهيب] (٣) وإنما يذكر القدر عند بيان نعمه عليهم : إما بما ليس من أفعالهم ، وإما بإنعامه بالإيمان والعمل الصالح ، ويذكره في سياق قدرته ومشيئته ، وإمَّا في مَعْرِض الأمر فلا يذكره إلاَّ عند النِّعَم كقوله : ﴿ **ولَوْلا فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ما زَكَى مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلِكنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ** ﴾ (٤) فهذا مناسب ، وقوله : ﴿ **قَد أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى** ﴾ معنى آخر ، وهذه الآية من جنس الثانية ، لا من جنس الأولى .

والمقصود : ذكر التزكية قال الله تعالى : ﴿ **قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ**﴾ (٥) الآية . وقال تعالى : ﴿ **وَإِنْ قِيلَ لَكُم ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ** ﴾ (٦) الآية . وقال تعالى : ﴿ **وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لاَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ** ﴾ (٧)

(١) الآية ١ - : المؤمنون .
(٢) الآية ١٤ - ١٥ : الأعلى .
(٣) ليس في المطبوعة .
(٤) الآية ٢١ : النور .
(٥) الآية ٣٠ : النور .
(٦) الآية ٢٨ : النور .
(٧) الآية ٦ - ٧ : فصلت .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يزَّكَّى ﴾ [1] [وقال موسى لفرعون : ﴿ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى وأَهْدِيَكَ إِلَى رَبّكَ فَتَخْشَى ﴾[2] وقال : ﴿ ذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴾[3] ...][4]

وأَصل الزكاة : الزيادة في الخير ، ومنه يقال : زَكَى الزَّرْعُ ، وزَكَى المال : إذا نَمَا [5] ، ولن ينمو الخير إلا بترك الشَّرِّ ، كالزَّرْعِ الذي لا يزكُو حتَّى يزال عنه الدَّغَلُ [6] .

فكذلك النَّفْسُ والأعمال لا تزكُوا [حتى يزال عنها ما يُنَاقِضُهَا] [7] ولا يكون الرجل متزكيًا قد زكى إلا مع ترك الشَّرِّ ، ١٩١ / ب [ومن لم يترك الشر لا يكون زاكيًا البتَّة // فإن الشر][8] يُدنسُ النَّفسَ ، ويُدَسِّيهَا قال الزَّجَّاج : معنى « دَسّاها » جعلها ذليلة [حقيرة] [9] خسيسة[10] .

وقال الفرَّاءُ : دسَّاها : لأن البخيل يخفي نفسه ومنزله وماله .

---

(١) الآية ٧ : عبس .
(٢) الآية ١٨ - ١٩ : النازعات . قال ابن كثير الزكاة هاهنا : طهارة النفس من الأخلاق الرذيلة ومن أهم ذلك طهارة النفس من الشرك . التفسير ٧ / ١٥٣ طبعة الشعب .
(٣) الآية ٧٦ : طه .
(٤) ليس فى المطبوعة .
(٥) فى تعريف الزكاة انظر النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٢ / ٣٠٧ تحقيق الطناحى .
(٦) الدغل : هو الشجر الملتف الذى يكمن أهل الفساد فيه . المصدر السابق ٢ / ١٢٣ .
(٧) من المطبوعة .
(٨) ليس فى المطبوعة .
(٩) من المطبوعة .
(١٠) قال الخليل : دسا يدسو دسوًا ودسوة : نقيض زكا يزكو زكاة ، فهو داس وقد تدسَّ وَدَسَّ نفسه . وقيل : التدسية : الإغواء والإغراء وأنشد:
وأنت الذى دسيت عمرًا فأصبحت حـلائله منـه أرامـل ضيقـا
المجموع المغيث فى غريبى القرآن والحديث لأبى موسى الأصفهانى ١ / ٦٥٦ تحقيق عبد الكريم العزباوى .

قال ابن قتيبة (1) : أي أخفاهَا بالفجور والمعصية ، فالفاجر بارتكاب الفواحش دسّ نفسَه أي قَمعَهَا [وخباها] (2) وصانع المعروف : شهر نفسه ورَفَعَهَا ، وكانت أجوادُ العرب تنزل الرُّبَى تشتهرُ بذلكَ أنفسُهَا ، واللِّئَامُ تنزلُ الأطراف [والوديان (3)] (4) فالبِرُّ والتقوى يبسط النفسَ ويشرح الصدرَ ، بحَيثُ يجد الإنسان في نفسه أنه اتَّسعَ وعظم عما كان [عليه] (4) والفجور والبخل يَقْمَعُ النفسَ ويُصغرهَا ويُهينُهَا بِحَيثُ يجد البخيل في نفسه أنه ضيق وقد بين النبي ﷺ ذلك في الحديث الصحيح فقال : « مَثَلُ البَخِيلِ والمُتَصَدِّقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُنَّتَان مِنْ حَدِيدٍ قَدِ اضْطُرَّتْ أَيْدِيهمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا فَجَعَلَ المُتَصَدِّقُ كُلَّمَا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ انْبَسَطَتْ عَنْهُ حَتَّى تُغَشِّيَ أَنَامِلَهُ وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ ، وَجَعَلَ البَخِيلُ كُلَّمَا هَمَّ بَصَدَقَة قَلَصَتْ وَأَخَذَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ بِمَكَانِهَا قَالَ : وأَنَا رأيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ بِإِصَبعِهِ فِي جَيْبِهِ ، فَلَوْ رَأَيْتَه يَوسِّعُهَا وَلا تَتَّسِعُ » أخرجاه [وهذا لفظ مسلم (5)] (6) وإخفاء المنزل وإظهاره تبعًا لذلك .

قال اللَّهُ تعالى : ﴿ **يَتَوَارَى مِنَ القَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ** ﴾ (7) فهكذا النفسُ البخيلةُ الفاجرة قد دسها صاحبها في البدنِ وبعضُها في بعض ، ولهذا وقت الموت تنزعُ

(1) **ابن قتيبة** : عبد الله بن مسلم بن قتيبة بن مسلم المروزى ولد سنة ٢١٣ هـ ومات سنة ٢٧٦ هـ تاريخ بغداد ١٠ / ١٧٠، وفيات الأعيان ، ٣ / ٤٢ ، والسير ١٣ / ٢٩٦ .

(2) من المطبوعة .

(3) انظر نص ابن قتيبة فى كتابه تأويل مشكل القرآن ٣٤٤ - ٣٤٥ تحقيق السيد أحمد صقر .

(4) من المطبوعة .

(5) صحيح مسلم كتاب الزكاة باب مثل المنفق والبخيل ٢ / ٧٠٨ ح ١٠٢١ ، وصحيح البخارى كتاب الزكاة باب مثل المتصدق والبخيل ٣ / ٣٠٥ ، وكتاب الجهاد ٦ / ٩٩ ، وفى اللباس ١٠ / ٢٦٧.

(6) ليس فى المطبوعة .

(7) الآية ٥٩ : النحل .

من بدنه كما ينزعُ السفودُ من الصوفِ المبتل ، والنفسُ البرةُ الزكيةُ قد زكاها صاحبُها فارتفعت واتسعت ومجدت ونبلت فوقتُ الموتِ تخرُج من البدن كما تخرجُ الشعرةُ من العجينِ [1] .

قال ابنُ عباس : إن للحسنة لنورًا في القلب ، وضياءً في الوجه ، وقوةً في البدن ، وسعةً في الرزق ، ومحبةً في قلوب الخلق ، وإن للسيئة لظلمةً في القلب ، وسوادًا في الوجه ، ووهنًا في البدن وضيقًا في الرزق ، وبغضًا في قلوب الخلق [2] .

وقد قال الله تعالى : ﴿ **وَالبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ والَّذي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إلّا نَكِدا** ﴾ [3] وهذا مثل البخيل والمنفق .

وقال تعالى : ﴿ **فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَام ، وَمَن يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَل صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّما يَصَّعَدُ فِي السَّماءِ** ﴾ [4] وقال تعالى : ﴿ **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ** ﴾ [5] الآية ونحوها .

وقوله تعالى في سياق ذِكرِ الرمي بالفاحشةِ ، وذَمّ المظهر لها ، والمتكلم بما لا يعلم : ﴿ **وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُم وَرَحْمَتهُ مَا زَكَى مِنْكُم مِّن أَحَدٍ أبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ** ﴾ [6] فبين أن الزكاة

---

(١) يشير بهذا إلى الحديث الذى فيه صفة نزع روح المؤمن ونزع روح الكافر ،وانظر المسند ٤ / ٢٨٧ وأبو داود فى السنة ٥ / ١١٤ ح ٤٧٥٣ ، وابن جرير ١٣ / ٢١٧ ، والبيهقى فى عذاب القبر ٣٧ ح ٢٠ وقال : حديث كبير صحيح الإسناد ، وانظر الدر المنثور ٥ / ٢٦ .

(٢) أثر ابن عباس لم أجده ، ولكن ورد عن الحسن بن صالح كما فى الحلية ٧ / ٣٣٠ العمل بالحسنة قوة فى البدن ، ونور في القلب ، وضوء فى البصر ، والعمل بالسيئة ، وهن فى البدن ، وظلمة فى القلب ، وعمى فى البصر .

(٣) الآية ٥٨ : الأعراف .

(٤) الآية ١٢٥ : الأنعام .

(٥) الآية ٢٥٧ : البقرة .

(٦) الآية ٢١ : النور .

إنما تحصلُ بتركِ الفاحشةِ ، ولهذا قال : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ ﴾ [1] وذلك لأن ترك السيئات هو من أعمال النفس ، فإنه يؤمن أن السيئاتِ مذمومةٌ ويكرهُ فعلَها ، ويجاهدُ نفسه إذا دعته إليها [إن كان مصدقًا لكتاب ربه مؤمنًا بما جاء عن نبيه ﷺ] [2] وهذا التصديقُ والكراهةُ وجهادُ النفسِ // أعمالٌ ١٩٢ / أ
تعملُها النفسُ المزكاةُ ، فتزكو النفسُ بذلك ، بخلاف ما إذا عملت السيئات فإنها تندسُ وتنقَمِعُ كالزرع إذا نَبَت معه الدغلُ .

والثوابُ إنما يكون على عمل موجود ، والعقابُ إنما يكون على عمل موجود .

فأما العدم المحض فلا ثواب فيه ولا عقاب ، لكن فيه عدمُ الثواب والعقاب ، والله تبارك وتعالى أمر الناسَ بالخير ونهاهم عن الشر ، وقد اتفق الناس على أن المطلوب بالأمر:فعل موجود، واختلفوا في النهى [وهو الترك] [3] هل هو أمر وجودي أو أمر عدمي ؟ فقيل : المطلوب أمر وجودي وهو الترك وهذا قول الأكثرين وقيل : المطلوب عدم الشر وهو ألا يفعله [ومن قال هذا قال: لو لم يخطر المنهي عنه بباله بحال لكان ممتثلًا] [4] .

وتحقيقُ الأمر : أن المؤمنَ إذا نُهي عن المنكر فلا بد أن يقر بهذا النهي ويعزم على ترك المنهي عنه ويكره فعله ، وهذا أمر وجودي بلا ريب فلا يتصور أن المؤمن الذي يعلم أنه [5] نهى عن فعل لا يصدر

(١) الآية ٣٠ : النور .
(٢) من المطبوعة .
(٣) ليس فى المطبوعة .
(٤) ليس فى المطبوعة .
(٥) من المطبوعة : كتب فى الهامش : بياض فى الأصل . قلت : والصواب ما أثبتناه إن شاء الله .

منه أمر وجودي لكن قد لا يكون مريدًا لما نهى عنه بل هو كاره له طبعًا ، كما يكره الإنسان أكل الميتة والعذرة مع نهى الشارع له عن ذلك لكن مع نهى الشارع فلا بد من اعتقاد التحريم . والعزم على تركه لطاعة الشارع ، وهذا قدر زائد على كراهة الطبع . وهذا أمر وجودي يُثاب عليه ، ولكن ليس ثواب من كف نفسه وجاهدها لطلبها الفعل المحرم كثواب من يكرهه طبعه . ومن كانت كراهته للمحرمات كراهة إيمان ، وقد غمر إيمانه حكم طبعه فهذا أعلى الأقسام الثلاثة ، وهذا صاحبُ النفسِ المطمئنة وهو أرفع من صاحب النفس اللوامة [1] التي تفعل الذنب وتلوم صاحبها عليه وتتردد هل يفعل أو لا يفعل ، وأما من لم يخطر بقلبه أن الله حرَّمه ، ولا هو مريد له بل لم يفعله فهذا لا يعاقب عليه ولا يثاب إذا لم يحصل منه أمر وجودي يثاب عليه ، فمن قال: المطلوب ألا يفعل : إن أراد أن هذا المطلوبَ يكفي في عدم العقاب فقد صدق [فإذا لم يصدر منه ذنب لم يعاقب] [2] وإن أراد أن يثاب على هذا العدم فليس كذلك [فإن الثواب لا يكون إلا على أمر وجودى ، وكذلك العقاب أيضًا] [3] فإن

(١) **النفس المطمئنة** : هى التى تطمئن بذكر الله والإنابة إليه ، والشوق إلى لقائه ، والأنس بقربه ، وهى التى يقال لها عند الوفاة ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية** ﴾ فهى نفس قد سكنت إلى ربها وطاعته وأمره وذكره ولم تسكن إلى سواه ، واطمأنت إلى محبته وعبوديته ، وإلى التصديق بحقائق أسمائه وصفاته ، والرضى به ربًا ، وبالإسلام دينًا ، وبمحمد رسولًا ، واطمأنت بأن الله هو إلهها ومعبودها ومليكها ومالك أمرها كله فلا غنى لها عنه طرفة عين .

وأما النفس الأمارة بالسوء : فهى ما كان بضد ما وصفت به المطمئنة . فهى أمارة بالسوء بما تهواه من شهوات الغى واتباع الباطل ، فهى مأوى كل سوء ، ومن أطاعها قادته إلى كل قبيح ومكروه .

وأما النفس اللوامة : قال مجاهد : هى التى تندم على ما فات وتلوم عليه ، وقال عطاء عن ابن عباس: كل نفس تلوم نفسها يوم القيامة ، تلوم المحسن نفسه أن لا يكون ازداد إحسانًا ، وتلوم المسيئ نفسه أن لا يكون رجع عن إساءته . وقال الحسن : إن المؤمن – والله – ما تراه إلا يلوم نفسه على كل حالاته يستقصرها فى كل ما يفعل فيندم ويلوم نفسه وإن الفاجر يمضى قدمًا لا يعاتب نفسه . انظر إغاثة اللهفان لابن القيم ١ / ٧٦ – ٧٨ فإنه نفيس فى بابه .

(٢) (٣) ليس فى المطبوعة .

الكافر إذا لم يؤمن بالله ورسوله فلا بد أن يكون لنفسه أعمال تشتغل بها عن الإيمان ، وتلك الأعمال كفر يعاقب عليها .

ولهذا لما ذكر الله عقوبة الكفار في النار ذكر أمورًا وجودية عوقبوا عليها ، وتلك [الأمور المباينة للإيمان] (*) تدس النفس .

ولهذا كان التوحيد والإيمان أعظم ما تتزكى به النفس ، وكان الشرك أعظم ما يدسيها ، وتتزكى بالأعمال الصالحة ، والصدقة ، وهذا كله مما ذكره السلف في التزكي قالوا في ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّي ﴾ (١) : من تطهر من الشرك ومن المعصية بالتوبة . وعن أبي سعيد وعطاء وقتادة : صدقة الفطر // وهؤلاء لم يريدوا أن الآية لم ١٩٢/ب تتناول إلا صدقة الفطر بل مقصودهم : إن من أعطى صدقة الفطر وصلى صلاة العيد فقد تناوله قوله : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ ولهذا كان يزيد بن حبيب (٢) كلما خرج إلى الصلاة خرج ومعه صدقة يتصدق بها قبل الصلاة ، ولو لم يجد إلا بصلًا .

وقال الحسن : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّي ﴾ من كان عمله زكيًا ، وقال أبو الأحوص(٣) : زكوات الأموال (٤)كلها ، وقال الزجاج : تزكو بتقوى الله عز وجل ، ومعنى الزاكي النامي الكثير . وكذلك قالوا في

(*) ليس فى المطبوعة .
(١) راجع فى هذا كلامًا قيمًا للمصنف - رحمه الله - فى رسالة العبودية ص ١٠٠ طبع المكتب الإسلامى .
(٢) **يزيد بن حبيب** : أبو رجاء الأزدى . الإمام الحجة مفتى الديار المصرية ، ولد بعد سنة خمسين فى دولة معاوية وهو من صغار التابعين ، وكان من أجلة العلماء العاملين ، ارتفع بالتقوى مع كونه مولى أسود . مجمع على الاحتجاج به . مات سنة ١٢٨ هـ . السير ٦ / ٣١ .
(٣) **أبو الأحوص** : هو سلام بن سليم الحنفى الكوفى . الحافظ . ثقة متقن مات سنة ١٩٩ هـ تهذيب الكمال ١ / ٥٦٢ ، والتهذيب ٤ / ٢٨٢ .
(٤) فى المطبوعة : الأمور .

قوله تعالى: ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ [1] قال ابن عباس : لا يشهدون أن لا إله إلا الله [وهو قول عكرمة [2] قيل المعنى: لا يطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد] [3] وقال مجاهد : لا يزكون أعمالَهُم: أي ليست أعمالُهُم زاكيةً [وقيل: لا يطهرونها بالإخلاص] [4] وعن الحسن : لا يؤمنون بالزكاة ولا يقرون بها ، وعن الضحاك : لا يتصدقون ولا ينفقون في الطـاعة[5] ، وعن ابن السائب [6] : لا يعطون زكاة أموالهم قال :كانوا يحجون ويعتمرون ، ولا يزكون . والتحقيق : أن الآية تتناول كل ما يتزكى به الإنسانُ من التوحيد والأعمال الصالحة [كما قال موسى لفرعون] [*] ﴿ هَلْ لَّكَ إِلى أن تَزَكَّى ﴾ [7] وكما قال : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى ﴾ والصدقة المفروضة لم تكن فرضت عند نزول هذه الآية وهي قوله : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنا بَشَرٌ مِّثْلُكُم يُوحِى إِليَّ أَنَّما إِلهُكُم إِلَهٌ واحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْه وَاستَغْفِرُوهُ وَوَيلٌ لِلمُشْرِكِينَ الَّذين لا يُؤتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ فإن قيل : « يؤتى » فعل متعدٍ قيل : هذا كقوله : ﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّن أَقْطَارِهَا ثُمّ سُئِلُوا الفِتْنة لأتَوْهَا ﴾ [8] [وقد تقدم هذا قوله : ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُه قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ، بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [9] الآية وما بعدها] [*] فقد أخبر أن الرسول دعاهم ، ودعاؤه إياهم إلى ما

(١) الآية ٦ - ٧ : فصلت .

(٢) أخرجه ابن جرير ٢٤ / ٩٢ ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقى فى الأسماء والصفات ١ / ٢٧١ ح ٢٠٥ بإسناد ضعيف ، وانظر الدر المنثور ٧ / ٣١٣ .

(٣) ليس فى المطبوعة .

(٤) من المطبوعة .

(٥) تفسير القرطبى ١٥ / ٣٤٠ .

(٦) ابن السائب : هو عبد الله بن على بن السائب القرشي المطلبي روى عن عثمان وغيره؛ التهذيب ٥ / ٣٢٥ .

(*) ليس فى المطبوعة

(٧) ذكر نحو هذا العلامة ابن كثير فى تفسيره ٧ / ١٥٣ .

(٨) الآية ١٤ : الأحزاب .

(٩) الآية ٣ - ٤ : فصلت .

(*) ليس فى المطبوعة .

دعاهم : طلب منه . وكذلك قال : ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ أي لا يؤتونه ما طلب منهم ، فكان هذا اللفظ متضمنًا قيام الحجة عليهم بالرسل وهو إنما يدعوهم لما تزكو به أنفسهم ومما يبين[1] أن الزكاة تستلزم الطهارة- لأن معناها معنى الطهارة - قوله تعالى : ﴿ خُذْ من أَمْوالِهِم صَدَقَةً تُطَهِرُهُم وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [2] تطهرهم من الشر وتزكيهم بالخير [فتذهب عنهم السيئات فيصيرون طاهرين منها . وتزكو أنفسهم حينئذٍ بالعمل الصالح مع زوال الذنوب] [3] ** .

قال النبي ﷺ : « اللهُمَّ طَهِّرني بالمَاءِ والثلجِ والبردِ » [اللهمَّ نقِّني مِن خَطَايَاي كَمَا يُنقَّى الثَّوبُ الأَبيَضُ منَ الدَّنَسِ ، اللَّهم بَاعِدْ بيني وبينَ خَطَايَاى كمَا باعَدتَ بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغربِ] [4] ** .

وكان يدعو به في استفتاح الصلاة وفي الاعتدال من الركوع
١٩٣/أ [وكذلك في الحديث// الصحيح أنه ﷺ صلى على ميت فقال: « اللَّهم اغسلهُ بمَاءٍ وثَلْجٍ وبَرَدٍ ونَقهِ مِن الخَطَايا كَما يُنَقَّى الثَّوبُ الأَبيَضُ منَ الدَّنَسِ » [5] والغسل] ** بهذه الأمور يوجب تبريد المغسول ، والبرد يعطي قوة وصلابة ، وما يسر يوصف بالبرد ويقال : قرة عين . ولهذا كان دمع السرور باردًا ، ودمع الحزن حارًا ، لأن ما يسوء النفس يوجب حزنها وغمها [وذلك يسخن الباطن] ** وما يسرها يوجب

(١) في المطبوعة : يليق ، وهو خطأ .
(٢) الآية ١٠٣ : التوبة .
(٣) ورد نحو هذا التفسير عن الضحاك كما أخرج ابن أبي حاتم ، انظر الدر المنثور ٤ / ٢٨١ .
(٤) تخريجه : البخارى فى صفة الصلاة / باب الدعاء بعد التكبير ٢ / ١٩٠ ، ١٩١ ومسلم فى المساجد ح ٥٩٨ ، وأبو داود فى الصلاة ٧٨١ ، والنسائى ٢ / ١٢٨ ، وانظر جامع الأصول ٤ / ١٨٣.
(٥) تخريجه : صحيح مسلم / كتاب الجنائز ح ٩٦٣ .
** ليس فى المطبوعة .

فرحها وسرورها وذلك مما يبرد الباطن . [ولهذا يقال : برد قلبي]** فسأل [النبي] *** ﷺ أن تغسل الذنوب على وجه يبرد القلوب أعظم برد يكون بما فيه من الفرح والسرور الذي أزال عنه ما يسوء النفس من الذنوب وقوله : « بالثلج والبرد والماء البارد » تمثيل بما هو من هذا الجنس ، وإلا فنفس الذنوب لا تغسل بالثلج ، ويقال : أذقنا برد عفوك ، وحلاوة مغفرتك ، ولما قضى أبو قتادة دين المدين قال النبي ﷺ : « الآن بردت جلده[1] » ويقال : برد اليقين ، وحرارة الشك ، ويقال : هذا [الأمر] * يثلج له الصدر ، إذا كان حقًّا يعرفه القلب ويفرح به ، حتى يصير في مثل برد الثلج ، فيقال : هذا يثلج له الصدر . ومرض النفس إما بشبهة وإما هوى شهوة أو غضب ، والثلاثة توجب السخونة ، ويقال لمن نال مطلوبه : برد قلبه [ولمن لم يحصل مطلوبه: ما في هذا يبرد قلبه]** فإن الطلب فيه حرارة كحركة الطلب ، [وإذا وجد المطلوب سكن واطمأن وبرد قلبه]**

وقوله تعالى : ﴿ **خُذْ مِن أَمْوَالِهِم صَدَقَةً تُطَهِرُهم وَتُزَكِّيهم بها** ﴾ دليل على أن عمل الحسنات يطهر النفس ويزكيها من الذنوب السالفة فإنه قال هذا بعد قوله : ﴿ **وَآخَرُونَ اعترَفُوا بذُنوبِهِم خَلَطُوا عَمَلًا صَالحًا وآخَرَ سَيِّئًا** ﴾ [2] الآية ، وما بعدها . فالتوبة والعمل الصالح يحصل بها التطهير والتزكية ، ولهذا قال في سياق قوله : ﴿ **قُلْ لِّلمُؤمِنِينَ يَغضُّوا مِن أَبْصَارِهِم ويَحْفَظُوا فُرُوجَهُم ذَلكِ أَزكَى لَهُم** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وتُوْبُوا إِلَى اللَّهِ جميعًا أَيُّهَ المُؤمِنُون لَعَلَّكُم تُفْلِحونَ** ﴾ [3]

** ليس في المطبوعة . *** من المطبوعة .
(١) مسند أحمد ٣ / ٣٣٠ .
* من المطبوعة . ** ليس من المطبوعة .
(٢) ١٠١ : التوبة .
(٣) ٣٠ - ٣١ : النور .

فأمرهم جميعًا بالتوبة في سياق ما ذكره من الأمر بغض البصر وحفظ الفرج ، لأنه لا يسلم أحد من ذنب من هذا الجنس كما في الصحيح [عن ابن عباس قال: ما رأيت شيئًا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة]** عن النبي ﷺ قال : « إنّ اللّه كَتَبَ على ابن آدَمَ حَظَّهُ من الزِّنا [أَدْرَكَ ذَلكَ لا مَحَالَة ، فالعَينانِ تَزْنيانِ وَزناهُمَا النَّظَرُ ، والأُذُنُ تَزْني وزنَاها السَّمع ، واللسَانُ يَزْني وزِنَاهُ النُّطقُ ، واليدانِ تَزْني وَزِنَاهُمَا اللّمسُ ، والرِّجْلان تَزني وَزِنَاهما المشيُ ، والقَلبُ يَتَمَنَّى ويَشْتَهي وَالفَرْجُ يصدِّقُ ذَلكَ ويُكَذبه] »[1] ** وكذلك في الصحيح أن قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الحَسَنَات يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ [2] نزلت بسبب رجل نال من امرأة كلَّ شيء إلا الجماع ثم ندم وجاء تائبًا فأنزل الله تعالى هذه الآية[3]// ١٩٣/ب
ويحتاج المسلم في ذلك إلى أن يخاف الله وينهى النفس عن الهوي [كما قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَن خَافَ مَقَامَ رَبهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهوَى فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوى ﴾[4]] ** ونفس الهوى والشهوة لا يعاقب عليها وإنما على اتباع ذلك وفعله ، فإذا كانت النفس تهوى وتشتهي وهو ينهاها كان نهيه إياها عبادة لله تعالى وعملا صالحًا [يثاب عليه]** وقد ثَبَتَ عن النبي ﷺ أنه قال : « المجَاهِدُ مَن جاهَدَ نَفسَه فِي ذَاتِ اللّهِ »[5] فإذا كانت النفس تهوى المحرم وتدعو إليه أمر بنهيها ومجاهدتها ، كما يؤمر بجهاد من يأمر بمعاصي الله [

** ليس في المطبوعة .
(١) البخارى فى الاستئذان ١٠ / ٢٢ باب زنى الجوارح دون الفرج ، ومسلم فى القدر ح ٢٦٥٧ ، وأبو داود في النكاح ٢١٥٢ ، وأحمد ٢٧٦/٢ .
(٢) الآية : ١١٤ : هود .
(٣) البخارى فى مواقيت الصلاة باب الصلاة كفارة ٢ / ٧ ، وفى تفسير سورة هود ، وصحيح مسلم ٢٧٦٣ فى التوبة ، والترمذى فى التفسير ٣١١١ ، وأبو داود فى الحدود ٤٤٦٨ ، وأحمد ٤٢٥٠ .
(٤) الآية ٤٠ - ٤١ : النازعات .
(٥) الترمذى فى فضائل الجهاد ٣ / ١٦٥ ح ١٦٢١ ، وليس فيه لفظ « فى ذات الله » وقال : حسن صحيح .

من الناس] * ويدعو إليها ، وهو إلى جهاد نفسه أَحوجُ منه إلى ذلك ، فإن هذا فرض عينٍ عليه وذاك فرضُ كفاية . والصبرُ في هذا الجهاد من أفضل الأعمال ، فإن هذا الجهاد حقيقة ذلك الجهاد ، فالصبر عليه صبرٌ على ذلك الجهاد كما قال : « والمهاجر من هجر السيئات » (١) [ومن هجر ما نهى الله عنه ثم جاهد النفس لا يكون محمودًا فيه إلا إذا غلب ، بخلاف جهاد الكفار فإنه ﴿ وَمَن يُقَاتِلْ في سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقتَل أو يَغْلب فَسَوفَ نُؤتِيهِ أَجْرًا عَظيمًا ﴾(٢) وأما هذا فإذا غُلب كان ملومًا مذمومًا] *** ولهذا قال ﷺ في الحديث الصحيح : « لَيْسَ الشَّدِيدُ بالصُّرعَةِ إنّما الشَّدِيدُ الذي يَملكُ نَفْسَه عندَ الغَضَبِ»(٣) وذلك لأن الله أمر الإنسان أن ينهى نفسه عن الهوى وخوّف مقام ربه فجعل * له من الإيمان ما يعينه على الجهاد ، فإذا غُلب كان لضعف إيمانه فيكون مفرطًا بترك المأمور ، بخلاف العدو الكافر فإن ذلك قد يكون بدنه أَقوى [من بدن المؤمن فيغلبه فيستشهد المؤمن فيثيبه الله على مجاهدته وإن قتل ، إذ لا ذنبَ له هناك] ** فالذنُوب إنما تقع إذا لم تكن النفسُ ممتثلةً لما أمرت به ، ومع امتثال المأمور لا تفعل المحظور فإنهما ضدان . قال الله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ لِنَصرِفَ عَنهُ السُّوءَ وَالفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا المُخلَصينَ ﴾(٤) وقال الشيطان : ﴿ لأُغوِيَنَّهمْ

---

* ليس في المطبوع .

(١) الطبرانى فى الكبير ١٩ / ١٧٦ ح ٤٠٠ وأصله فى الصحيح بلفظ « المهاجر من هجر ما نهاه الله عنه » صحيح البخاري فى الإيمان باب من سلم المسلمون من لسانه ويده ١ / ٥٠ ، ومسلم فى الإيمان ح ٤٠ ، وأبو داود فى الجهاد ٢٤٨١ .

(٢) الآية : ٧٤ : النساء .

* فى المطبوع : فحصل . ** ليس فى المطبوعة . *** ليس فى المطبوع بتمامه الذى سقته هنا .

(٣) البخارى فى الأدب باب الحذر من الغضب ١٠ / ٤٣١ ، ومسلم فى البر والصلة والأدب ح ٢٦٠٩، ومالك فى الموطأ فى حسن الخلق ٢ / ٩٠٦ .

(٤) الآية : ٢٤ : يوسف .

أَجمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنهُم المُخلَصِينَ﴾ (١)

قال تعالى : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيسَ لَكَ عَلَيهِم سُلْطَانٌ﴾(٢) الآية ونحوها.

فعبادُ الله المخلصون لا يغويهم الشيطان ، والغي خلاف الرشد ، وهو اتباع الهوى ، فمن مالت نفسه إلى محرم فليأت بعبادة الله كما أمر الله تعالى مخلصًا له الدين ، فإن ذلك يصرف عنه السوء والفحشاءَ ، وإخلاصُ الدين له يتضمنُ : خشيتَه ومحبتَه والعبادةَ له وحده وهذا يكون مانعًا للسيئات من الوقوع إذا كان تامًّا (٣) فإن كان ناقصًا فوقعت السيئات من صاحبه كان ماحيًا لها بعد الوقوع ، فهو كالترياق الذي يدفع أثر السم ويرفعُه بعد حصوله ، فهو دافع للسَّيِّئات ورافع لها ، كالغذاء من الطعام والشراب الذي يمنع حصول العطش ، ويرفع الجوع والعطش بعد حصوله ، وكالاستمتاع بالحلال الذي يمنع النفس عن طلب الحرام ، وإذا حصل فيها طلب لذلك منعه وأزاله ، وكالعلم الذي يمنع النفس أن تشك وترتاب ، ويرفع الشك والارتياب بعد وقوعه ، وكالطب الذي يحفظ الصحة ويدفع المرض [والصحة// ١٩٤/أ تحفظ بالمثل والمرض يدفع بالضد](٤) وكذلك ما في القلب من الإيمان وعبادة الله عز وجل [يحفظ] (٥) بأشباهه بما يقوي الإيمان والعبادة ، وإذا حصل في القلب مرض من الشبهات والشهوات أزيل ذلك بضده ، ولا يحصل المرض إلا لنقص أسباب الصحة ، كذلك القلب لا يمرض بالشهوات والشبهات إلا لنقص إيمانه [وعبادته لربه](٥) ،

(١) الآية : ٤٠ : الحجر .
(٢) الآية : ٤٢ : الحجر .
(٣) فى المطبوعة : تائبًا .
(٤) ليس فى المطبوعة .
(٥) من المطبوعة .

وكذلك الإيمان والكفر والبر والفجور هما متضادان ، فكل ضدين فأحدهما يمنع الآخر تارة ويرفعه أخرى ، كالسواد والبياض [فالسواد يمنع البياض أن يحصل][1] موضعه ، ويرفعه إذا كان حاصلًا ، كذلك الحسناتُ تمنعُ السيئات [أن تحصل وتدفعها بعد الحصول ، وكذلك بالعكس فالكفر يمنع الإيمان وقد يرفعه بعد حصوله ، والسيئاتُ قد تمنع الحسنات وقد ترفعها بعد الحصول ، والإحباطُ الذي ينكره سلف الأمة وأهل السنة ليس هو ما تقول الخوارج والمعتزلة من أن السيئة الواحدة الكبيرة تُحبط جميع الحسنات حتى الإيمان ، وإن مات مصرًا على كبيرة لم يكن معه من الإيمان شئ أصلًا بل هو مخلد في النار ، ولا يخرج منها لا بشفاعة ولا غيرها ، وقال كثير منهم] [2] الجبائي وابنه[3] بالموازنة [بين الحسنات والسيئات][4] لكن قالوا: من ترجحت سيئاته خلد في النار ، وأما الموازنة بلا تخليد في النار: فهو قول [عامة السلف وأكثر أهل السنة][5] .

ومن الإحباط : ما اتفق المسلمون عليه : وهو حبوطُ الحسنات كلها بالكفر [فهذا مما اتفق عليه الناس: أن الردة التي يموت صاحبها عليها تحبط الأعمال كلها ؛ لأن الكافرَ ليس له حسنة يدخل بها الجنة][6] قال تعالى : ﴿ **وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ**

(١) فى المطبوعة كتب : فى الأصل بياض وما بين القوسين من التركية .

(٢) ليس فى المطبوعة ، بل الذى فى المطبوعة مكتوب بهامشه بياض بالأصل مما جعل هذا الكلام يخرج فى المطبوعة مشوهًا وغير مفهوم انظر ج ١٠ / ٦٣٧ الفتاوى .

(٣) **الجبائى** : شيخ المعتزلة أبو على محمد بن عبد الوهاب البصرى مات سنة ٣٠٣ هـ كان على بدعته متوسعًا فى العلم سيال الذهن . مقالات الإسلاميين ١ / ٢٣٦ ، وسير أعلام النبلاء ١٤ / ١٨٣ ، والبداية والنهاية ١١ / ١٢٥ .

أما ابنه : فهو عبد السلام : المتكلم المشهور مات سنة ٣٢١ هـ السير ١٤ / ١٨٣ هامش .

(٤) فى المطبوعة كتب : بياض بالأصل . وما بين القوسين من التركية .

(٥) فى المطبوعة كتب : بياض بالأصل .

(٦) ليس فى المطبوعة وهو نقص أخل بالمعنى فى المطبوعة إخلالًا بينًا .

حَبِطت أَعْمَالُهُم فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[1]

وقال تعالى : ﴿ **وَمَنْ يَكْفُر بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ** ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ **وَلَوْ أَشْرَكُوا لحبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾[3] وقال تعالى : ﴿ **لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبطَنَّ عَمَلُك** ﴾[4]

[فهذا الإحباط متفق عليه ، وذلك الإحباط مخالف لأقوال الصحابة والتابعين وأئمة الدين][5] فإن الله ذكر في القرآن حدَّ الزاني والسارق والقاذف ولم يجعلهم كفارًا مرتدين حابطي الأعمال ، ولا أَمر بقتلهم[6] كما أَمر بقتل المرتدين [ومعلوم أن كل من أَظهر الردَّةَ يجب قتلُهُ][7] [8] والمنافقون لم يكونوا يُظهرون كفرهم ، [فلو كان القذف والسرقة والزنا كفرًا لوجب قتل صاحبه إذا لم يتب والقرآن لم يأمر إلا بالجلد أو القطع]* والنبي ﷺ قد أَمر أَصحابه بالصلاة على

(١) الآية : ٢١٧ : البقرة .
(٢) الآية : ٥ : المائدة .
(٣) الآية : ٨٨ : الأنعام .
(٤) الآية : ٦٥ : الزمر .
(٥) ليس فى المطبوعة وهو نقص أخل بالمعنى فى المطبوعة إخلالًا بينًا .
(٦) قال الله تعالى فى شأن الزنا : ﴿ **الزانى والزانية فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله** ﴾ [النور : ٢] .
وقال تعالى فى شأن السارق : ﴿ **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالًا من الله والله عزيز حكيم * فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم** ﴾ [المائدة : ٣٨ ، ٣٩]
وقال تعالى فى شأن القذف : ﴿ **والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدًا وأولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم** ﴾ [النور : ٤،٥] .
(٧) قال ﷺ : « من بدل دينه فاقتلوه » انظر الموطأ ٢ / ٧٣٦ .
(٨) ليس فى المطبوعة وهو نقص يحيل المعنى .
* ليس فى المطبوعة وهو نقص يحيل المعنى .

الغال(١) ، وعلى قاتل نفسه(٢) ولو كانوا كفارًا أَو منافقين لم تجز الصلاة عليهم ، فعلم أَنهم لم يحبط إيمانُهُم كله ، [وقد ثبت في الصحيح أَن النبي ﷺ قال لمن كان مدمن الخمر كلما أُتي به إليه حدّه فلعنه رجل فقال]** : « لا تَلْعَنْه فإنَّه يُحبُّ اللَّهَ ورَسُولَهُ » (٣)

وحب الله ورسوله// من أَعظم شعب الإِيمان ، فعلم أَن إدمان شرب ١٩٤/ب
الخمر لا يذهب جميع الإِيمان [وإن أَذهب بعضها]** وثبت عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة « أَنَّه يخرج مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ في قَلْبِهِ مِثَقالُ ذَرةٍ مِنِ إيمان » (٤) ولو كان إيمانهم كلُه قد حبط لم يكن في قلوبهم شئ منه ولم يخرجوا وقال تعالى :﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُم ظَالِـم لِّنَفْسِهِ ومِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ومِنْهُم سَابِقٌ بِالخَيْـرَاتِ** ﴾(٥) فجعلهم من المصطفين [مع ظلمهم لأنفسهم ، فلو كان الذنب يحبط جميع الإِيمان لم يكن منهم ظالم لنفسه ، بل كان من غيرهم من الكفار .

والمعتزلة يدعون أَنهم العدلية(٦) فأي عدل في أَن تكون سيئة واحدة

---

(١) روى زيد بن خالد الجهنى قال : توفى رجل من جهينة يوم خيبر فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال : « صلوا على صاحبكم » فتغيرت وجوه القوم ، فلما رأى ما بهم قال : « إن صاحبكم غل من الغنيمة » أخرجه أحمد ٤/ ١١٤ ، وأبو داود فى الجهاد ٢ / ٥٢ ، والنسائى ٤ / ٥٢ ، وابن ماجه ٢ / ٩٥٠ وحول خلاف العلماء فى هذه المسألة انظر بتوسع المغنى لابن قدامة ٣ / ٥٠٤ - ٥٠٨ بتحقيق الدكتور عبد الله التركى وزميله .

(٢) روى جابر بن سمرة أن النبى ﷺ جاؤه برجل قتل نفسه بمشقاص ، فلم يصل عليه ، رواه مسلم فى كتاب الجنائز ٢ / ٦٧٢، والنسائى ٤/ ٥٣ ، وأحمد فى المسند ٥ / ٨٧ ، وراجع المغنى ٣ / ٥٠٥ حول هذه المسألة .

(٣) الحديث فى صحيح البخارى كتاب الحدود باب ما يكره من لعن شارب الخمر وأنه ليس بخارج من الملة ١٢ / ٧٥ ح ٦٧٨٠ .

** ليس فى المطبوعة وهو نقص يحيل المعنى .

(٤) أخرجه الترمذى فى صفة جهنم برقم ٢٥٩٦ ، وقد أخرجه البخارى ومسلم فى جملة حديث طويل .

(٥) سورة فاطر : ٣٢ .

(٦) مؤسس هذه النحلة الضالة **واصل بن عطاء الغزال** الذى انعزل من درس الحسن البصرى ، وقال ببدعة أن الفاسق فى منزلة بين المنزلتين وفى الآخرة مخلد فى النار . وانضم إليه عمرو بن عبيد . سموا بالقدرية لنفيهم القدر ، ويسمون الوعيدية لقولهم الوعد والوعيد ، ويسمون المعطلة لجحدهم صفات =

تحبطُ حسنات كثيرة أَعظم منها وصفًا وقدرًا ، وقد ثبت في الصحاح حديثُ أَبي ذر « وَإِن زَنَى وَإِن سَرَقَ » [١] فلو كان الزنا والسرقة كفرًا محبطًا لجميع الإيمان لكان التقدير « وإن كفر »] [٢] فإذا كانت [السيئات] [٣] لا تحبط جميع الحسنات ، فهل تحبط بقدرها من الحسنات؟ وهل تحبط بعض الحسنات بذنب دون الكفر؟.

هذا فيه قولان للمنتسبين إلى السنة [٤] منهم من ينكر الإحباط مطلقًا فيقول: ما ثَمَّ إحباط لا في الجميع ولا في البعض ، ومنهم من يقول بذلك في البعض ، كما دلت عليه النصوص ، مثل قوله : ﴿ **لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ** ﴾ [٥] فدل ذلك على أن هذه السيئة تبطل الصدقة . وقد ضرب مثله بالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الأخر . [وجعل مثله ﴿ **كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا** ﴾ [٦] [٧]] وقالت عائشة : « أَخبري زيدًا أَنه قد أَبطل جهادَهُ مع رسول الله ﷺ إلا أن يتوب » [٨] وأَما قوله : ﴿ **لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ** ﴾ إلى قوله : ﴿ **أَن تَحْبَطَ**

= البارى ، ويسمون العدلية ومرادهم بالعدل : نفى القدر وأن الإنسان موجد أفعاله . وتوحيدهم نفى الصفات . انظر فى هذا الملل والنحل للشهرستانى ١ / ٥٢ والفرق بين الفرق ٢٠ - ٢١ ، ٩٤ وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ٩٨ وللمزيد راجع بحث المعتزلة وأصولهم الخمسة للشيخ عواد المعتق فإنه فريد فى هذا الباب وكتاب المعتزلة للعبدة وزميله .

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان ١ / ٩٥ ح ١٥٤ ، والمسند ٥ / ١٦٦ .

(٢) ليس فى المطبوعة ، وهو نقص كبير يغير المعنى ويخل بالسياق .

(٣) من المطبوعة .

(٤) أما رأى المعتزلة فجمهورهم على أن الإنسان إذا عبد الله طول حياته ثم ارتكب كبيرة من الكبائر فإنها تبطل جميع أعماله السابقة . أما الجبائى - وهو من متأخريهم - فيرى أن الطاعات السابقة على المعاصى يسقط منها بمقدار المعاصى ، وتبقى المعاصى على حالها . انظر تفصيل ضلالتهم فى شرح الأصول الخمسة ٦٢٨ - ٦٣٢ وكتاب المعتزلة للدكتور المعتق ص ٢٤٩ .

(٥) البقرة : ٢٦٤ .

(٦) البقرة : ٢٦٤ .

(٧) ليس فى المطبوعة .

(٨) الدارقطنى فى السنة ٣ / ٥٢ .

أَعمَالُكُم وَأَنتُم لَا تَشْعُرُونَ ﴾ (١) وحديث صلاة العصر(٢) ففيه نزاع(٣) وقال تعالى : ﴿ وَلَا تُبْطِلُوا أَعمَالَكُم ﴾ (٤) قال الحسن : بالمعاصي والكبائر(٥) ، وعن عطاء : بالشرك والنفاق ، وعن ابن السائب : بالرياء والسمعة ، وعن مقاتل : بالمن وذلك أن قومًا من الأعراب قدموا على رسول الله ﷺ وقالوا : أتينا طائعين فلنا عليك حق فنزلت هذه الآية . [ونزل قوله تعالى : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيكَ أَنْ أَسلَمُوا ﴾ (٦) (٧)] فما ذكر عن الحسن يدل على أن المعاصي والكبائر تحبط بعض الأعمال فإن قيل : لم يرد بذلك إلا إبطالها بالكفر قيل: الكفر منهي عنه في نفسه ، وموجب للخلود الدائم ، فالنهي عنه لا يعبر عنه بمجرد ﴿ لا تُبطِلوا أَعمَالَكُم ﴾ بل يذكره على وجه التغليظ كما في قوله تعالى : ﴿ مَن يَرْتَدَّ مِنكُم عَن دِينِه ﴾(٨) الآية ونحوها والله سبحانه في هذه الآية وفي آية المن سماه إبطالًا ولم يسمه إحباطًا (٩) ولهذا ذكر بعدها الكفر بقوله : ﴿ إِنَّ الَّذين كَفَرُوا وَصَدّوا عَن سَبيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُم كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُم ﴾(١٠) فإن قيل : المراد بذلك إذا دخلتم فيها فأتموها ، وبهذا احتج من قال : التطوع يلزم
١٩٥/أ بالشروع // فيه قيل : لو قدر أن الآية تدل على أنه منهي عن إبطال بعض العمل فالنهي عن إبطاله كله أولى بدخوله فيها ، فكيف وذلك

(١) الحجرات : ٢ .
(٢) لفظه : « الذى تفوته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله » .
(٣) انظر تفصيل ذلك فى رسالة الصلاة لابن القيم .
(٤) سورة محمد : ٣٣ .
(٥) انظر تفسير القرطبى ١٦ / ٢٥٤ .
(٦) الحجرات : ١٧ .
(٧) ليس فى المطبوعة .
(٨) المائدة : ٥٤ .
(٩) انظر فى هذا مجموع الفتاوى للمصنف - رحمه الله - ١٢ / ٤٨٣ .
(١٠) محمد : ٣٤ .

قبل فراغه قد لا يسمى صلاة ولا صومًا [وإنما يسمى بذلك بعد كماله][1] ثم يقال : الإبطال بالضد يؤثر قبل الفراغ وبعده ، وأما ما ذكروه فهو أمر بالإتمام ؛ والإبطال هو إبطال الثواب ، ولا نسلم أن من لم يتم الصوم والصلاة يبطل جميع ثوابه ، بل قد يقال : إنه يثاب على ما فعل من ذلك وقد ثبت في الحديث الصحيح حديث المفلس « الَّذي يأتي يَوْمَ القِيَامةِ بحسَناتٍ أَمْثالِ الجبال[2] وقَدَ قَتَلَ هذا ، وأَخَذَ مَالَ هذَا ، وَانْتَهَكَ عِرضَ هذَا ، فَيأْخُذُ هَذَا مِن حَسَناتِهِ وهَذَا مِن حَسَنـاته »[3] الحديث . لكن هذا في حقوق العباد ، يدل على أن الحسنات تؤخذ في المظالم ، فإذا لم يبق حسنة أخذ من سيئات المظلوم فجعلت على الظالم .

وقال : « من كانت لأخيه عندهُ مَظلَمةٌ في دمٍ أَوْ مَالٍ أَوْ عِرْضٍ فَلْيأْتِهِ فَلْيَتَحلَّلْ منْهُ قَبْلَ أَن يَأْتيَ يَوْمٌ ليسَ فيهِ دِرْهَمٌ ولا دِينارٌ إلَّا الحَسَناتِ والسَّيِّئاتِ»[4] وهذا يبين أن المقتول ظلمًا يأخذ من حسنات قاتله ، أو يأخذ القاتل من سيئاته فتجعل عليه . وقد قال أحد ابني آدم : ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ ﴾[5] وفيه قولان مشهوران : أحدهما : تبوء بإثم قتلي وإثمك الذي في عنقك . هذا مأثور عن ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك[6] والثاني : تبوء بإثمي في خطـايـاى ، وإثمك في قتلك لي ، وهو مروي عن مجاهد ، قال ابن جرير : والصحيح عن مجاهد : هو القول الأول[7] فعلى الأول

(١) ليس فى المطبوعة .
(٢) ما بعد الجملة مخروم من المطبوعة إلى نهاية الرسالة انظر جـ ١٠ / ٦٤٠ والمثبت من النسخة التركية.
(٣) أخرجه مسلم فى البر / باب تحريم الظلم ح ٢٥٨١ ، والترمذى فى صفة القيامة ح ٢٤١٨ .
(٤) أخرجه البخارى فى المظالم ٥ / ٧٣ ، والترمذى فى صفة القيامة ح ٢٤١٩ .
(٥) المائدة : ٢٩ .
(٦) انظر تفسير ابن كثير ٣ / ٨١ طبع كتاب الشعب .
(٧) انظره فى تفسير ابن جرير ٦ / ١٩٣ .

لفظ الإثم مضاف في الثاني إلى الفاعل وفي الأول مضاف إلى المفعول، وعلى الثاني هو مضاف فيهما إلى الفاعل وبعض الناس يقول: ما ترك القاتل على المقتول من ذنب. وليس المراد أن القاتل يحمل جميع سيئاته، بل قد روى أن القتل كفارة للمقتول.

وعن على بن الحسين بن علي[1] أَنه بلغه قتل ابن زياد[2] وهو يطوف فساءه ذلك قال: فقيل له: وما تكره من ذلك؟ قال: لأن القتل كفارة المقتول.

والذي عليه الحديث: أَنه إن كانت له حسنات أُخِذت منه، وإلا جعلت من سيئات المظلوم عليه ولهذا يبوء بإثم المظلوم. ولكن ليس فيه أَن يحمل جميع سيئات المظلوم، وقد يكون المقتول ظلمًا عليه أَوْزَار كبيرة، وقد قتل نفوسًا فلا يكون إثْم قتلهِ بقدر إثْم منْ قَتَلَهمْ كُلَّهم، لكن قد يقال في القصة المعينة لم يكن على المقتول من السيئات أَعظم من سيئة قتله، فإن قتله أَعْظم الذنوب بعد الكفر، وهو أول مقتول قتل على وجه الأرض. وقد ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا إلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ منْ دَمِها، لأَنَّهُ أَوَّلُ منْ سنَّ القَتْل»[3] فهذا الإثم الذي حصل بقتل المظلوم عظيم جدًّا لم تكن على المظلوم سيئات مثله وحينئذ فالقاتلُ يبوء بالسَّيئات التي كانت على المقتول مع سيئات نفسه.

(١) **على بن الحسين بن علي** بن أبى طالب الهاشمى زين العابدين ولد سنة ثمان وثلاثين ظنًّا، وكان ثقة مأمونًا. مات سنة ٩٤ هـ سير أعلام النبلاء ٤ / ٣٨٦، والبداية والنهاية ٩ / ١٠٣.

(٢) **ابن زياد**: هو عبيد الله بن زياد بن أبيه أمير العراق، جميل الصورة قبيح السريرة هكذا وصفه الذهبى. سفك الدماء وقتل سنة ٦٧هـ السير ٣/٥٤٥، وشذرات الذهب ١ / ٧٤.

(٣) **البخاري** فى كتاب الديات ١٢ / ١٩١ ح ٦٨٦٧، وصحيح مسلم كتاب القسامة ١٦٧٧.

وكان مثل هذا القاتل ما ترك على المقتول المظلوم // من ذنب ١٩٥/ب
وكذلك لو كان لهذا القاتل حسنات لأخذ المقتول المظلوم منها حقَّه . وهذا لأنه إذا كان كافرًا لم تكن له حسنة[(١)] .

وقد اختلف الناس في القاتل قابيل: هل كان كافرًا أو فاسقًا غير كافر؟ على قولين[(٢)] وقد قال سبحانه : ﴿ فَأَصْبَحَ [مِنَ الخَاسِرِينَ] ﴾[(٣)] قال ابن عباس : من الخاسرين في الدنيا والآخرة فخسران الدنيا : أنه أسخط والديه ، وبقى بلا أخ ، وخسرانه فى الآخرة أنه أسخط ربَّه وصار إلى النار .

قال الزَّجَّاج : أَصبح من الحسنات خاسرًا . وقال أَبو يَعْلَى : من الخاسرين أنفسهم بإهلاكهم إياها ، والخاسر الذي خسر ما كان له ، وهذا يدل على ذهاب حسناته إما بالكفر وإما بالقصَاصِ .

وقد ذكر الله سبحانه وزن الحسنات والسيئات في عدة آيات فقال تعالى : ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ ﴾[(٤)] الآية ونحوها .

مثل الآية التي في آخر المؤمنين[(٥)] ، والتي في سورة الأنبياء[(٦)] والتي في سورة القارعة[(٧)] وفي الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه -

(١) قال تعالى : ﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عملٍ فجعلناهُ هباءً منثورًا ﴾ الفرقان .
(٢) راجع بسطه فى تفسير القرطبى ٦ / ١٣٦ .
(٣) المائدة : ٣٠ .
(٤) الأعراف : ٨ .
(٥) قال تعالى : ﴿ فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون ﴾ [المؤمنون : ١٠٢ - ١٠٣] .
(٦) قال تعالى : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ [الأنبياء : ٤٧] .
(٧) قال تعالى : ﴿ فمن ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية ﴾ [القارعة : ٧] .

عن النبي ﷺ أنه قال : « كَلِمَتانِ خَفيفَتَانِ عَلَى اللِّسان ثَقيلتانِ في الميزَانِ ، حَبيبتان إلى الرَّحْمن : سُبْحانَ اللَّه وبِحمْدِهِ سُبْحانَ اللَّه العَظيم »(1) وفي حديث البطاقة الذي رواه الترمذي وغيره فَتوضع البِطاقةُ في كِفَّةٍ والسِّجلاتُ في كِفَّةٍ فَثَقُلت البطَاقة وطاشَتِ السِّجلات(2) .

والمَوْزون سَوَاءٌ كَانتْ هيَ الصَّحائفُ أَو الأعمال: تجعل أَجسامًا ، كما يَجيُءُ ثواب سورة البقرة وآل عمران كأَنهما غَمَامَتانِ ، أَو غَيَايَتان ، أو فرقَان من طيْر صَوَافَّ(3) ويَجيُءُ ثَوابُ القُرآن في صُورَة الرَّجل الشَّاحبِ فيقولُ: أَنا الَّذي أَظْمَأتُ نَهارَكَ وَأَسْهَرْتُ ليلَكَ(4) ، وكما في حديث القبر إنَّه يأتيه عَمَلُهُ الصَّالحُ في صُورة شاب حسنَ الوَجْه ، وعَمَلُهُ السَّيئ في صورة قَبيحة(5) ، وكذلك إتيان الموتِ يومَ القيامةِ في صُورة كبْش أَمْلَح(6) وغير ذلك . والناس لهم قولان في قَلبِ الأعْرَاض أَجسامًا(7): منهم من يُجَوِّزُ ذلك ، فيكون نفس العمل قلب عينًا قائمة بنفسها . ومنهم من لا يُجَوِّزُهُ فيقول : جُعِل منه . ومن هَذَا البابِ صعود الأعمالِ ، إلى الله سُبحانَهُ(8) فإنه تصعد

---

(1) البخارى فى الدعوات ١١ / ٢٠٦ ، وفى التوحيد ١٣ / ٥٣٧ ، ومسلم ٢٦٩٤ ، وأحمد ٢ / ٢٣٢ ، وابن أبى شيبة فى المصنف ١٠ / ٢٨٨، والترمذى ٣٤٦٧ ، والنسائى فى عمل اليوم والليلة ٨٣٠ ، وابن ماجه ٣٨٠٦ . وممن أفرد لهذا الحديث شرحًا مستقلًا العلامة الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقى فى كتابه « التنقيح فى حديث التسبيح» حققه الشيخ محمد بن ناصر العجمى وطبع ١٤١٣ هـ .

(2) أحمد فى المسند ٢ / ٢١٣ بسند حسن ، والترمذى فى الإيمان ٧ / ٢٩٥ ح ٢٦٤١ ورجاله ثقات . وابن ماجه ٢ / ١٤٣٧ ح ٤٣١١ فى الزهد .

(3) صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين ح ٨٠٤ و ٨٠٥ ، وأحمد ٥/ ٢٤٩، ٢٥١، ٢٥٥، ٢٥٧ .

(4) أخرجه الإمام أحمد ٥ / ٣٤٨ ، ٣٥٢ ، وابن ماجه فى الأدب ح ٣٧٨١ .

(5) أحمد ٤ / ٢٨٧ ، وأبو داود فى السنة ٥ / ١١٤ ح ٤٧٥٣ .

(6) صحيح البخارى كتاب التفسير ٨ / ٤٢٨ ح ٤٧٣٠ ، ومسند أحمد ٢ / ٣٧٧ .

(7) يقول ابن القيم رحمه الله : « والله ينشىء من الأعراض أجسامًا تكون الأعراض مادة لها ، وينشىء من الأجسام أعراضًا ، كما ينشىء سبحانه من الأعراض أعراضًا ومن الأجسام أجسامًا والأقسام الأربعة ممكنة ومقدورة للرب تعالى . التفسير القيم ص ٣٥٤ ، وانظر قدر الدعوة لرفاعى سرور ص ٢١ .

(8) قال تعالى : ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ [فاطر : ١٠] وورد فى السنة قوله ﷺ : « .. يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل » صحيح مسلم كتاب الإيمان ١ / ١٦١ .

الصحف ، وكذلك جاءت الآثار بصعود صور الأعمال كما في الحديث : أَنَّ لُسبحانَ الله والحَمْد للّهِ ولا إلهَ إلَّا الله دَوِيًّا حَوْلَ العَرْشِ يذكرنَ بصَاحبهن وهو في السنن[١] .

وكذلك قوله : ﴿ **يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا ، وَمَا**
عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾[٢] وكذلك قوله :
﴿ **وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا** ﴾[٣] وقوله : ﴿ **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ**
خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾[٤] ويدل عليه الحديث الذي
في الصحيحين « ما منْ صَاحِبِ كَنزٍ لا يُؤَدي زَكَاة مالِهِ إلَّا مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ
القيَامَة شُجاعٌ أَقْرَعُ . . »[٥] الحديث وهو تأويل قوله : ﴿ **سَيُطَوَّقُونَ مَا**
بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[٦] وقوله : ﴿ **يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ**
جَهَنَّمَ ﴾[٧] الآية لكن هذه أجسام . وقد قال تعالى : ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ**
كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ
خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُم وَأَثْقَالًا مَّعَ ١٩٦/أ
أَثْقَالِهِمْ ﴾[٨] الآية // قال تعالى : ﴿ **لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ**
وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[٩] . وقال تعالى : ﴿ **وَهُم**
يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُم عَلَى ظُهُورِهِم أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾[١٠] .

---

(١) ابن ماجه فى الأدب ح ٣٨٠٩ ، والمصنف لابن أبى شيبة ١٠ / ٢٨٩ ، والحاكم فى المستدرك ١ / ٥٠٠ ، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه لكن تعقبه الذهبى بأن فى السند منكر الحديث ، والطبرانى فى الدعاء ح ١٦٩٣ .

(٢) آل عمران : ٣٠ .

(٣) الكهف : ٤٩ .

(٤) الزلزلة : ٧ ، ٨ .

(٥) البخارى فى التفسير ٨ / ٣٢٢ ح ٤٦٥٩ ، ومسلم فى الزكاة ح ٩٨٧ ، وأبو داود فى الزكاة ح ١٦٥٨ والنسائى فى الزكاة ٥ / ١٢ - ١٤ .

(٦) آل عمرن : ١٨٠ .

(٧) التوبة : ٣٥ .

(٨) العنكبوت : ١٢ ، ١٣ .

(٩) النحل : ٢٥ .

(١٠) الأنعام : ٣١ .

قال السُّدِّي [١] وعمرو بن قيس الملائى[٢] إن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله أحسن شئ صورة ، أو أطيبه ريحًا ، فيقول : هل تعرفنى ؟ فيقول : لا ، إلا أن الله قد طَيَّبَ ريحَك وحسَّن صُورتك ، فيقول : كذلك كنت في الدنيا أنا عملكَ الصالح طالما ركبتك في الدنيا فاركبنِ أنت اليوم وقرأ ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ المُتَّقِينَ إِلى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴾ [٣] أي ركبانًا ، وإن الكافر يستقبله أقبح شئ صورة ، وأنتنه ريحًا فيقول : هل تعرفني ؟ فيقول : لا ، إلا أن الله قد قَبَّحَ صورتَك ونتَّنَ ريحَكَ ، فيقول : كذلك كنت في الدنيا فأنا عملك السَّيئ طالما ركبتني في الدنيا فأنا أركبك اليوم وكذلك قوله : ﴿ وَهُم يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ ﴾ [٤] الآية وقال تعالى : ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾ [٥] وقال تعالى : ﴿ نُورهمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْديهِمْ وبأَيمَانِهِم بُشْرَاكُمُ اليَومَ ﴾ [٦] وفي الآية الأخرى ﴿ يَقُولُونَ رَبنا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنا واغْفِرْ لنَا... ﴾ [٧] الآية ، قال ابن مسعود : منهم من نوره مثل الجبل ، وأدناهم نورًا نوره على قدر إبهامه يطفئ مرة ويتقد أخرى ، وفي لفظ عنه : « يُعْطونَ نورًا عَلَى قَدْرِ أَعمالهم ، فَمنهمْ منْ يُعْطى نورًا كالنَّخلةِ ، وكالرَّجُلِ القائِمِ ، وَأَدْناهُمْ عَلَى إبهامِهِ فيطفئ مرةً ويَتَّقدُ أُخرى »[٨] .

(١) **السدى** : إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبى كريمة السدى بضم المهملة وتشديد الدال صدوق يهم ، رمي بالتشيع ، مات سنة ١٢٧هـ تهذيب التهذيب ١ / ٣١٣ .
(٢) **عمرو بن قيس الملائى** : الكوفى البزاز . الحافظ ثقة مأمون . مشاهير علماء الأمصار ١٦٧ ، وسير أعلام النبلاء ٦ / ٢٥٠ .
(٣) الآية ٨٥ مريم وأخرجه ابن كثير فى تفسيره ٢٥٨/٥ معزوًا لابن أبى حاتم ، والقرطبى فى تفسيره ١١ / ١٥١ .
(٤) الأنعام : ٣١ .
(٥) الإسراء : ١٣ .
(٦) الحديد : ١٢ .
(٧) التحريم : ٨ .
(٨) عبد الرزاق ٢ / ٢٧٥ ، والحاكم فى المستدرك ٢ / ٤٧٨ ، قال الذهبى : على شرط البخارى ، وابن جرير فى تفسيره ٢٧ / ٢٢٣ ، والبغوى فى تفسيره ٨ / ٣٤ .

وقال قتادة : ذكر لنا أن النبي ﷺ قال : [1]« منَ المؤْمنينَ منْ يُضيءُ نُورُه منَ المدينة إلي عَدَنَ وَصَنعاءَ فَدونَ ذَلِك ، حتَّى إنَّ منَ المؤْمنينَ منْ لاَ يُضيءُ نُورُهُ إلاَّ مَوْضعَ قَدَمَيْه » ومعلوم أن النور الذي يسعى بين أيديهم أعيان قائمة بنفسها ليست أعراضًا قائمة بهم ، والنور الذي يضيء لا بد أن يكون عينًا قائمة بنفسها ليست أعراضًا ، وضوءه ينتشر ، ولهذا قال من قال : الموزون في الميزان جواهر مضيئة ، وهي الحسناتُ ، وَجَوَاهِرُ مظلمةٌ وهي السيئات .

وفيها قول ثالث : أن الله يجعل في كل من الكِفَّتين علامة على قَدْرِ الثِّقل والخفَّةِ ، وقد ضربَ اللَّه مَثَلَ الإيمان بِنُور مشكَاةٍ[2] ومثل الكفر بظلمات بعضُها فوق بعض[3] ، فالدلائل الكثيرة تدل على أن الأعمال التي هي أعراض تصور صورًا قائمة بنفسها تحمل أو تحمل أصحابها وتوزن وتمشي أمام أَصْحَابِهَا[4] ، وتخاطب أصحابها وتؤنسُهُمْ ، ولبسط هذا موضع آخر .

فإن المقصود أَنه نطق الكتاب والسُّنَّة وأَقوال السلف بِوْزن الحسنات

---

(١) ابن جرير فى تفسيره ٢٧ / ٢٢٢ .

(٢) قال الله تعالى : ﴿ **الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى ...** ﴾ [النور : ٣٥] .

(٣) قال الله تعالى : ﴿ **ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها** ﴾ [النور : ٤٠] .

(٤) **فائدة** : يقول الشيخ حافظ الحكمى - رحمه الله - : والقول فى الموزون على أوجه :

الأول : أن الأعمال نفسها هى التى توزن ، وأن أفعال العباد تجسم فتوضع فى الميزان والدليل عليه حديث أبى هريرة : « كلمتان حبيبتان إلى الرحمن .. » الحديث ودلل عليه بعدة نصوص .

الثاني : أن صحائف الأعمال هى التى توزن ودليله حديث البطاقة .

الثالث : أن الموزون ثواب العمل .

الرابع : أن الموزون هو العامل نفسه . ودليله : « إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة » رواه البخارى فى تفسير سورة الكهف ٨ / ٤٢٦ ، ومسلم ح ٢٧٨٥ ، قال الشيخ حافظ [والذى استظهر من النصوص - والله أعلم - أن العامل وعمله وصحيفة عمله كل ذلك يوزن ؛ لأن الأحاديث التى وردت فى بيان القرآن قد وردت بكل ذلك ولا منافاة بينها] انظر معارج القبول ٢ / ٨٤٥ - ٨٤٩ تحقيق عمر أبو عمر .

والسيئات : دل على قول من قال بذهاب بعض الحسنات بالسيئات كما يذهب بعض السيئات بالحسنات ، وعن ابن عباس « تُوْزَن الحَسَنَاتُ والسَّيئاتُ في مَيزانٍ لَهُ كفَّتان فأمَّا المؤمنُ فَيُؤتى بَعَمَلِهِ في أَحْسنِ صُورةٍ فيوضعُ في كفَّةِ الميزانِ ، - وهُو الحقُّ - فتثقلُ حَسَناتُه علَى سَيّئاتِهِ ، فيوضع عملهُ في الجنَّة فيعرفها بعمله فذلك قوله : ﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأولئكَ هُمُ المُفْلِحُونَ ﴾[1] أي الناجون وهم
١٩٦/ب أعْرف بمنازلهم في الجنة // إذا انصرفوا إليها من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم ، وأَما الكفار فيُؤتَى بأعمالهم في أقبح صورة فتوضع في كفَّة الميزانَ وهي الباطلُ فيخفّ وزنُهُ حتَّى يقع في النَّارِ ثُمَّ يقالُ له : الحقْ بعَمَلك[2] .

وهو سبحانه ذكر من ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فدخل الجنَّة[3] ومن خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فدخل [النار]* على طريقة القرآن في ذكر أهل الوعد المحض ، وأهلِ الوعيد المحض ، كما قال أَبو بكر الصديق: إن للّه عملًا بالليل لا يقبلُهُ بالنهار ، وعملًا بالنَّهارِ لَا يقبلهُ بالليل ، وإنما ثَقُلتْ مَوَازينُ منْ ثَقُلتْ مَوازينُه يوم القَيامة بِاتباعهمُ الحقَّ وثقلهُ عَليْهمْ ، وحقَّ لميزانٍ يوضَعُ فيه الحقُّ أن يكونَ ثقيلًا ، وإنما خَفَّتْ مَوازين منْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَ القيامَةِ باتباعهم الباطِلَ وخفَّتهُ عَليْهمْ ، وحقَّ لميزانٍ يَوضَعُ فيه الباطلُ أَن يكونَ خفيفًا[4] .

(١) المؤمنون : ١٠٢ .
(٢) القرطبى فى تفسيره ٧ / ١٦٦ .
(٣) انظر آية ٦ - ١١ : سورة القارعة .
* ليست فى المخطوط .
(٤) ابن أبى شيبة فى المصنف ١٤ / ٥٧٢ ، وابن جرير فى تهذيب الآثار ٢ / ٩٢٥ وابن سعد فى الطبقات ٣ / ٢٧٤ وأخرج هذه الوصية ابن زبر الربعى فى وصايا العلماء ص ٣٢ - ٣٥ وذكر المحقق أن فى إسنادها ضعف .

وأَما من كان داخلًا في الوعد والوعيد: فمذهب الصحابة والتابعين وأَهل السُّنَّة والجَمَاعَة أَنه يستحقُّ الثَوابَ والعِقَابَ جميعًا ، فإذا عذَّبه الله بذنبه ما شَاءَ أَن يعذِّبَهُ ، أَخرجَ بَعْدَ ذَلِكَ من النار من في قَلْبِهِ مِثقالُ ذَرَّةٍ منْ إيمانٍ(١) .

ومذهب الخوارج والمعتزلة: يأثم إلا مستحق للوعد فقط ، منعم لا يعذب أَو مستحق للوعيد فقط معذب لا ينعم وقد بسطنا القول عليهم في غير هذا الموضع(٢) .

ولهذا قالوا بالإحباط المطلق الذي لا يبقى معه حسنة وإذا كانت النصوص وإجماع السلف دلَّ على أَن من الناس من ينعم ويعذب ، وأن فيه بعض الإيمان فهذا إذا كانت له حسنات كثيرة وسيئات كثيرة ، يكون سيئاته أَبطلتْ بقدرها من حسناته ، وإذا ترجحتْ سيئاتُهُ دخل النار ، ولا يلزم من رجحان السيئات أن تكون الحسنات قد بطلت حتى يصير لا حسنةَ له بحال كالكفار ، فإنَّ الموْزُون هِيَ الأعمالُ المصورة ، وصحفها تدل على أَن له حسنات وسيئات وأَما من لا حسنة له بحال فذاك ميزانه خفيفة ، خِفة مطلقة ليس فيها شئ من الحسنات التي تثقل بها . فإن الخفةَ والثقل إنما هو في الحسنات ، والتى يفلح صاحبها إذا ثقلت كفتها ، ويخسر إذا خفت ، فإذا قدر حسنات محضة ليس بإزائها سيئات فهذه في غاية الثقل ، وإذا قدر سيئات محضة ليس بإزائها حسنات فهذه في غايَةِ الخفَّةِ . وقال أَبو بكر الصديق في وصيته لعمر رضي اللَّه عنهما : وَاعْلمْ أَنَّما ثَقُلَتْ

(١) يدل عليه قوله ﷺ فى حديث الشفاعة الطويل : « فأخرج منها من كان فى قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان » البخارى فى التوحيد باب كلام الرب تعالى يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ١٣ / ٤٧٣ ح ٧٥١٠ ومسلم فى الإيمان ح ٣٢٦ وأحمد ٣ / ١١٦ .

(٢) ذكر ذلك فى كتابه القيم « الإيمان » فليراجع .

مَوَازِينُ منْ ثَقُلتْ مَوَازينهم باتِّبَاعهمُ الحَقَّ ، وثقلِ ذلك عليهم ، وحُقَّ لميزانِ يوضعُ فيهِ الحقُّ غَدًا أَن يكونَ ثَقيلًا ، وإِنَّما خَفَّتْ مَوَازِينُ منْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ باتباعِهم الباطلَ . وخفَّته عليهم ، وحُقَّ لميزانٍ يُوضعُ فيه البَاطلُ أَن يكونَ خَفيفًا .

والوزنُ على وجهين : أَحدهما : أَن يوضع بإِزاءِ الحسَنَاتِ والسَّيئاتِ ما يعرف مقدارها ، ثقلها وخفتها ، كما توزن الأَموال ، ثم ينظر بعد هذا في مقادير الموزونات وتعادلها وتفاضلها[١] .

١٩٧/أ والثاني : أَن يُوزَنَ أَحدُهُما بالآخر كما يوزنُ دراهم زيد// بدراهم عمرو ، وإِذا بيع أَحدُهُما بالآخرِ مثلًا بمثل ، فهذا الوزن الذي يدل عليه حديث البطاقَة حيثُ قيلَ فيه ، فتوضع البِطَاقَة في كفَّةٍ ، والسّجلاتُ في كفَّةٍ فَثقلتْ البطَاقَة وطَاشتِ السّجلّاتُ[٢] ، ووصف الميزان بالثقل والخِفّة مطلقًا من غير وصف بالثِّقَل بأنه الحسنات ولا وصف رجحان هذا الموزون على هذا الموزون دل على أَن الحسَنَاتِ لَها ثِقَلٌ .

وأَما السيئات فلا ثقل لها أَصلًا ، فإِذا لم يوضع في الميزان إلا السَّيئاتُ لم يكن لها ثقَلٌ بل تكون خَفيفة خِفَّة مطلقة ، وإنما يكون ثقل إذا كان فيها حسنات ، والحسنات نور مصور ، والسيئات ظلمة ،

(١) قال الشوكانى رحمه الله : « اختلف أهل العلم فى كيفية هذا الوزن الكائن فى هذا اليوم - يريدون يوم القيامة - فقيل : المراد به وزن صحائف الأعمال بالميزان وزنًا حقيقيًا وهذا هو الصحيح . وهو الذى قامت عليه الأدلة » .
وقيل : توزن نفس الأعمال وإن كانت أعراضًا ، فإن الله يقبلها : يوم القيامة أجسامًا كما جاء فى الخبر الصحيح « إن البقرة وآل عمران يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف » فتح القدير ٢ / ٢٦٩ تحقيق سيد إبراهيم .
(٢) تقدم تخريجه .

ولهذا قال الصِّدِّيقُ : وحُقَّ لميزانٍ يُوضعُ فيه البَاطلُ أَن يكونَ خفيفًا ، فالكافر الذي ليس له إلا السيِّئاتُ يكونُ مِيزانُهُ خفيفًا خِفَّةً مُطْلَقة . وأَما المسلم الذي له حسنات وسيئات ، وسيئاته أَكثر فيخف ميزانه لِمَ يوزن فيه من السيئات الزائدة ، وهذا هو الذي يعذب ثم يخرج من النَّار .

والميزان يوصف تارةً بالثِّقلِ والخِفةِ ، وتارَة برجحان أَحد الجانبين على الآخر ، وهذا إنما يكون فيما إذا اشترك المتقابلان في الثقل واختص أَحدهما بمزيد ثقل ، كالموزونات بميزان الكِفَّتيْنِ فإنه يكون في أَحدهما ما له ثقل وفي الأخرى ما له ثقل . فإما أَن يتساويا أَو يرجح أَحدهما على الآخر . وهذا كما في الحديث « رَأَيْت كَأَني جُعْلت في كِفَّة والأَمَّةُ في كِفَّة فَرَجَحْتُ بالأَمَّةِ ، ثمُ جعل أَبو بَكْر في كِفَّةٍ والأمَّة في كفَّةَ فرجح أَبو بكر ، ثم ذَكَرَ مثل ذلك في عُمرَ »[1] .

فإذا وزن حسنات شخصين ، قيل : حسنات أحدهما أَرجح ، كذلك لو وزن ثواب عملين قيل : ثواب هذا العمل أَرجح ، والله تعالى لم يَصِفَ الموازين بالرجحان وإنما وَصَفَها بالخِفَّة والثقل ، فالحسنات لها ثقل ، وأما السيئات فلا ثقل لها أَصلًا ، فإذا وزنت الحسنات بالسيئات لم يكن أَن يثقل جانب السيئات على ما في الميزان ، لأنه كان يكون الثقيل مذمومًا ، والقرآن لم يجعل الثِّقَلَ إلَّا محمُودًا . وَلَمْ يقلْ في القرآن فَمَنْ رجَحتْ حَسَناتُه ومَنْ رجَحَتْ سيئاتُهُ بل قال : ﴿ فَمَنْ ثَقُلتْ مَوَازِينُهُ ﴾ ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُه ﴾ فدل ذلك على أَن من لا حسنة له لا يقام له وزن ؛ قال تعالى :

(١) أبو داود في السنة ح ٤٦٣٤ بلفظ « من رأى منكم رؤيا فقال : رجل أنا رأيت كأن ميزانًا نزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت أنت بأبى بكر » . والترمذي في الرؤيا ح ٢٢٨٨ ، وأحمد ٢ / ٧٦ و ٥ / ٤٤ ، والنسائي في فضائل الصحابة ح ٣٣ .

﴿ **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بالأخسرينَ أَعْمَالاً الَّذينَ ضَلَّ سَعْيُهُم في الحَيَاةِ الدُّنْيا وَهُمْ يَحْسَبونَ أَنَّهُمْ يُحسنُونَ صُنْعًا** – إلى قوله: **فَلا نُقيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ وَزْنًا** ﴾ (١) .

فهؤلاء أَحبط الله أَعمالهم مطلقًا فلم يبق لهم حسنة ﴿ **فَلَا نُقيمُ لَهُمْ يَوْمَ القيامَةِ وَزْنًا** ﴾ وعن أَبي سعيد الخدري: « يأتي ناسٌ يَوْمَ القِيامَةِ بأَعْمَالٍ هِيَ عندهُمْ في العِظَم كَجِبالِ تِهامَةَ ، فإذا وزنُوها لمْ تزنْ شَيْئًا »(٢) .

وفي الحديث عن النبي ﷺ « يُؤْتَى بالرَّجُلِ السَّمِينِ العَظِيمِ فَلَا يَزْن
عِنْد اللَّه قشْر شَعِيرةٍ ، أُولئِكَ دفع المَلَكُ منْهم سَبْعِينَ أَلفاً // في ١٩٧/ب
النَّارِ»(٣) وفي حديث أنه نظر إلى ساقي ابن مسعود وحُمُوشَتِهما فقال : « لَهُمَا في الميزانِ أَثْقَل مِنْ أُحُدٍ » (٤) وهذا فيه إعادة الوزن إلى نفس الرجال . وقيل في الآية : لا يكون عندنا وزنٌ ولا مقدارٌ ، وقيل : لا يقامُ لهم ميزانٌ لأن الميزانَ يُوضَعُ لمن له حسناتٌ وسيئاتٌ منَ المُوَحِّدين .

فهؤلاء قد أَخبر الله تعالى في موضع آخر أَنهم خَفَّتْ مَوازِينُهم ، وأَنهم في جهنَّم خالدون ﴿ **تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وهُمْ فِيهَا كَالِحُـونَ** ﴾ (٥) وخفتها بأنها لم يكن فيها ما له وزن وثقل ، وقد وصف سبحانه الخير والشر بالثقل في قوله : ﴿ **فَمَنْ يَعْمَل مِثْقَالَ ذَرَّةٍ**

(١) ١٠٣ – ١٠٥ : الكهف .
(٢) أورده القرطبى فى تفسيره ١١ / ٦٦ .
(٣) أصله في الصحيحين بلفظ « إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال : اقرأوا : ﴿ **فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنًا** ﴾ البخارى في تفسير سورة الكهف ٨ / ٤٢٦ ح ٤٧٢٩ ومسلم في صفة المنافقين ح ٢٧٨٥ .
(٤) مسند أحمد ١ / ٤٢٠ و ٥ / ١٣١ .
(٥) الآية ١٠٤ : المؤمنون .

خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [١] فأخبر أَنَّ الخير والشَّرَّ يكون مثقال ذرة ، وَحينئذٍ فإذا وزنَ هذا بهذا رجحَ أَحدُهما عَلى صَاحبِهِ ، فهذا وزن الحسنات بالسيئات كما في حديث البِطَاقَةِ[٢] ، فهذا لا يكون إلا لمن له حسنةٌ توزن .

والكَافِرُ[٣] المحضُ قد ضلَّ عُملهُ ، لم يبق له حسنة توزن ، فإن عمله كله سيئات ، بل هذا لا يقيم اللَّهُ له وزنًا ، وإن كانوا يظنونها حسنات . كما قال أَبو سعيد . وقال أَبو الدَّرْدَاءِ: لاَ تحْقِرنَّ شيئًا من الخير أَن تعملَهُ ، فإنك إذا رأَيتَهُ فِي ميزانك سرَّكَ مكانهُ ، وَلَا تحْقرنَّ شيئًا منَ الشَّرِّ أَن تجتنبَهُ فإنَّكَ إذا رأَيته فِي مَيزانك سَاَءَك مَكَانهُ[٤] . قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُم كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ ﴾ [٥] الآية . وقال تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ [٦] الآية ؛ فهؤلاء لا تَخِفُّ مَوَازِينهم خِفَّةً مطلقة إذ ليْسَ فيهَا ما يثقل به ، فإنها لا تثقل إلا بالحقِّ وهؤلاء ليس معهم إلا البَاطِل ، وحُقَّ لميزانٍ لا يوضعُ فيه إلَّا البَاطِلُ أن يكونَ خفيفًا ، وهؤلاء وزن أعمالهم مقابلها بما فيها من خيرٍ أَو شرٍّ ، وَهَل كانت خالصَةً للَّهِ أَمْ لاَ ؟ وهَلْ وافقت أَمرَه أَمْ لَا ؟ فتوزن بما يبينُ جنسَهَا وقدرهَا وصِفتَها هل فيها حق يستحق صاحبه الثواب أَم لا ؟ كمن قيل : إن عليه حقوقًا ، فقيل : هات ما أَحضرت حتى نزنهُ وننقدَهُ ، فصارَ كُلَّمَا أَظهرَ شيئًا ظهر أَنه رديء حتَّى لَمْ يظهر شيء يحسبُ لَهُ ، ولهذا قال من

---

(١) ٧ - ٨ : الزلزلة .
(٢) سبق تخريجه .
(٣) في الأصل : الكفار .
(٤) تخريجه : لم أجده .
(٥) ٣٩ : النور .
(٦) ١٨ : إبراهيم .

قال من العلماء : إن الكفار لا يحاسبون . أي لا يحاسبون محاسبة تظهر فيها حسناتهم بسيئاتهم ، بل يحاسبون بمعنى أنهم تعد أعمالُهُمْ وتُحصى ، وتلك كلما وضِعتْ في الميزَانِ خفَّ بها الميزانُ ، وهذا الميزان لا نظيرَ لَهُ في مَوازين الدُّنيا ، فليس لنا ميزان يخفُّ بما يُوضَعُ فيه من الأجسام كانت ما كانت ولهذا قال من قال : المراد بالموازين : العَدْلُ . وقيل في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ ﴾ [1] قال مجاهد : والقضاء يومئذ العدل . وقال من قال لكل شئ ميزان بحسبه ، فالمواقيتُ لَها مَوازِين ، والمَمْسُوحَاتُ لَها مَوَازِينُ والمكيلَاتُ لها مَوَازِين ، ونهى النبي ﷺ عن بيع الثِّمارِ حتَّى توزنَ[2] أي تخرصُ ويعرفُ قَدرها ، ووازنت بين الشيئين موازنة ووزانًا ، وهذا يوازن هذا إذا كان على زنتهِ أوْ كان يحاذِيهِ ، وهو وزن الجبل أي ناحية منه . وزنة الجبل أي حذاه ، وقد قال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الكِتَابَ
بالحَقِّ والمِيزَانِ ﴾ [3] // وقد قال جمهور المفسرين : إنه العدل ، ١٩٨/أ
وقيل : ما يوزن به وهو أعم مما يوزنُ به الأجسام الثقيلة والخفيفة وقد قال تعالى :﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴾ [4] وقال النبي ﷺ : « أنا تَارِكٌ فيكُمُ الثَّقَلَيْن: أَحَدُهُمْ أَعْظَم منَ الأخَر: كتَابُ اللَّه وعِتْرَتي أَهْلُ بيْتي » [5] فسمى القرآن ثقلا ، وقال تعالى : ﴿ وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ [1] ويقال : أعطه ثقله . أي وزنه .

---

(١) الآية ٨ : سورة الأعراف .

(٢) « نهى النبي ﷺ عن بيع الطعام حتى يجرى فيه الصاعان ، صاع البائع ، وصاع المشترى » رواه ابن ماجه في التجارات ٢ / ٧٥٠ والبيهقى في الكبرى ٥ / ٣١٦ ، والدارقطني ٣ / ٨ ، وانظر المغنى ٦ / ١٨٧ .

(٣) الآية ١٧ : سورة الشورى .

(٤) الآية ٥ : سورة المزمل .

(٥) انظر المسند ٣ / ١٤ ، ١٧ ، ٢٦ ، ٥٩ و ٥ / ١٨١ ، والترمذى في المناقب ٥ / ٦٦٢ ح ٣٧٨٦ ، ح ٣٧٨٨ وقال : حسن غريب

(٦) الآية ٢ : سورة الزلزلة .

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث والآثار

الحديث		الصفحة
حديث النهي عن بيع الثمار حتى توزن		٧٢
رأيت كأني جعلت في كفة		٦٩
العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما		٢٦
كلمتان خفيفتان على اللسان		٦١
لا تحقرن شيئًا من الخير	أثر	٧١
لا تقتل نفس ظلمًا إلا		٦٠
لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله		٥٦
اللهم اغسله بماء وثلج		٤٩
اللهم طهرني بماء وثلج		٤٩
لهما في الميزان أَثقل من أُحد		٧٠
ليس الشديد بالصرعة		٥٢
ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة		٢٤
ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاة ماله		٦٣
مثل البخيل والمتصدق		٤٣
المجاهد من جاهد نفسه		٥١
من حج فلم يرفث		٢٦
من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له		١٩
من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا		٢٥
من كانت لأخيه عنده مظلمة		٥٩
من المؤمنين من يضئ نوره		٦٥
منهم من نوره مثل الجبل	أثر	٦٤
المهاجر من هجر السيئات		٥٢
وإن زنى وإن سرق		٥٧
وما تقرب إلى عبدي بشئ أَحب إلى....		٢٤

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- إثبات عذاب القبر للحافظ أبي بكر البيهقي/ تحقيق الدكتور شرف القضاة سنة ١٤٠٣هـ دار الفرقان/ الأردن .
- الأسماء والصفات للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ت ٤٥٨هـ تحقيق عبد الله الحاشدي الطبعة الأولي سنة ١٤١٣هـ الناشر مكتبة السوادي بجدة .
- الأسماء والصفات للدكتور عمر الأشقر/ الطبعة الأولي سنة ١٤١٣هـ دار النفائس/ الأردن
- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان للحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)/ تحقيق محمد حامد الفقي/ تصوير دار المعرفة بيروت .
- أوراق مجموعة من حياة شيخ الإسلام بن تيمية/ محمد بن إبراهيم الشيباني/ الأولى سنة ١٤٠٩ هـ مكتبة ابن تيمية بالكويت .
- بدائع الفوائد/ لابن القيم/ إدارة الطباعة المنيرية بالقاهرة .
- البدية والنهاية/ للحافظ إسماعيل بن كثير(ت٧٧٤ هـ) ط ١٩٦٦م مكتبه المعارف بيروت .
- تاريخ بغداد/ لأبي بكر أحمد بن على الخطيب البغدادي/ تصوير المكتبة السلفية بالمدينة .
- تأويل مشكل القرآن/ لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) تحقيق السيد أحمد صقر الطبعة الثانية سنة ١٣٩٣هـ دار التراث بالقاهرة .
- التفسير القيم/ للحافظ ابن القيم/ جمع محمد أويس الندوي/ تحقيق محمد حامد الفقي / لجنة التراث بيروت .
- تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير/ تحقيق غنيم وعاشور والبنا/ مطبعة

الشعب .
– تهذيب الآثار/لابن جرير الطبري/ تحقيق محمود شاكر/ الناشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .
–تهذيب التهذيب/ أحمد بن على بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) الأولى سنة ١٣٢٦هـ حيدر أباد تصوير دار صادر/ بيروت .
– تهذيب الكمال/ للحافظ المزي/ مخطوط .
– جامع الأصول/ مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير(ت ٦٠٦هـ) تحقيق/ عبد القادر الأرناؤوط/ الطبعة الأولى ١٣٨٩ هـ مكتبة الحلواني بيروت .
– جامع البيان عن تأويل القرآن (تفسير الطبري) الثالثة سنة ١٣٨٨ هـ مصطفي الحلبي .
– الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١ هـ) تحقيق أبو إسحاق أطفيش/ ط سنة ١٣٨٧ دار الكتاب العربي بالقاهرة .
– الجرح والتعديل/ لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي/ الأولى سنة ١٣٧٢ هـ تصوير المكتبة العلمية بيروت .
– حلية الأولياء/ للحافظ أبي نعيم الأصفهاني/ المكتبة السلفية
– الدر المأثور في التفسير بالمأثور/ للحافظ السيوطي/ الطبعة الجديدة سنة ١٤٠٣ هـ دار الفكر بيروت.
–الدعاء/ للحافظ أبي القاسم سليمان الطبراني(ت ٣٦٠ هـ) تحقيق الدكتور محمد سعيد البخاري/ الأولى سنة ١٤٠٧ هـ دار البشائر الإسلامية بيروت .
– ذيل طبقات الحنابلة/ للحافظ ابن رجب/ تحقيق محمد حامد الفقي/تصوير دار المعرفة بيروت .
– الروح للحافظ ابن القيم/ تحقيق عبد الفتاح محمود عمر/ الثانية ١٩٨٦ م عمان / الأردن .
– السنة لعبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل/ تحقيق محمد القحطاني/ الثانية/ دار المؤتمن .

- سنن أَبي داود/ سليمان بن الأشعث السجستاني/ تحقيق عزت الدعاس الطبعة الأولى سنة ١٣٩١هـ الناشر محمد على السيد/ سوريا .
- سنن الترمذي/ محمد بن عيسى/ تحقيق أَحمد شاكر/ تصوير إحياء التراث .
- سنن الدارقطني/ على بن عمر الدار قطني/ نشر عبد الله هاشم سنة ١٣٨٦هـ المدينة المنورة .
- السنن الكبرى/ البيهقي/ تصوير دار الفكر بيروت .
- سنن ابن ماجة / محمد بن يزيد القزويني/ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي سنة ١٣٩٥هـ دار إحياء التراث العربي بيروت .
- سنن النسائى/ أبو عبد الرحمن أَحمد بن شعيب النسائي/ الطبعة الأولى ١٣٤٨ هـ تصوير دار الفكر .
- سير أَعلام النبلاء / للإمام محمد بن أَحمد الذهبي/ تحقيق الأرناؤوط وجماعة معه/ الأولى ١٤٠٢ هـ مؤسسة الرسالة بيروت .
- السيرة النبوية الصحيحة/د . أكرم العمري/ الأولى ١٤١١ هـ/ قطر .
- شذرات الذهب في أَخبار من ذهب/عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ) دار الآفاق الجديدة .
- شرح السنة/ للبربهاري/ تحقيق: محمد القحطاني/ الثانية . دار المؤتمن .
- صحيح البخاري/ للإمام محمد بن إسماعيل البخاري/ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي/ الأولى سنة ١٣٨٠هـ المطبوع مع شرحه فتح الباري بالدار السلفية بالقاهرة .
- صحيح الجامع الصغير/ للشيخ محمد ناصر الدين الألباني/ الأولى سنة ١٣٨٨هـ المكتب الإسلامي .
- صحيح مسلم/ للإمام مسلم بن الحجاج القشيري/ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي/ الأولى سنة ١٣٧٤ هـ دار إحياء الكتب القاهرة
- طبقات الحفاظ/ للسيوطي/ تحقيق على محمد عمر/ الأولى ١٣٩٣هـ مكتبة وهبة بالقاهرة .
- الطبقات الكبرى / للإمام محمد بن سعد / دار صادر/ بيروت
- العبودية/ لشيخ الإسلام ابن تيمية/ الرابعة ١٣٩٧ هـ المكتب الإسلامي .

- العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية/ للحافظ محمد بن أحمد بن عبد الهادي (ت ٧٤٤ هـ) دار الكتب العلمية .
- عمل اليوم والليلة/ للحافظ النسائي/ تحقيق فاروق حمادة/ الثانية ١٤٠٦ هـ مؤسسة الرسالة .
- غريب الحديث/ للحافظ ابن الأثير/ المشهور بالنهاية/ تحقيق الدكتورمحمود الطناحي ط١٣٩٩ هـ دار الفكر .
- فتح القدير/ للإمام محمد بن على الشوكاني/ تحقيق سيد إبراهيم/ الأولى ١٤١٣ هـ دار الحديث القاهرة .
- الفوائد/ للحافظ ابن القيم/ الطبعة الثالثة ١٣٩٦هـ تعليق صابر يوسف/ مكتبة الجامعة بالقاهرة .
- فضائل الصحابة/ للإمام النسائي/ تحقيق فاروق حمادة/ الأولى ١٤٠٤ هـ دار الثقافة بالمغرب .
- قدر الدعوة / رفاعي سرور/ ط ١٤١٢ هـ دار الحرمين/ بالقاهرة .
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية / جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد/ مطبعة الحكومة سنة ١٣٨١ هـ الرياض .
- مدارج السالكين لابن القيم تحقيق محمد حامد الفقي/ الأولى سنة ١٣٧٥هـ مطبعة أنصار السنة بالقاهرة .
- المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث/ للحافظ أبي موسى الأصفهاني تحقيق عبد الكريم العزباوي/ الأولى ١٤٠٦ هـ جامعة أم القرى .
- المستدرك للإمام أبي عبد الله الحاكم النيسابوري طبعة ١٣٩٨هـ دار الفكر بيروت .
- المسند/ للإمام أحمد بن حنبل/ طبع زهير الشاويش ١٤٠١هـ .
- مشاهير علماء الأمصار/ محمد بن حبان البستي/ تصحيح فلايشهمر/دار الكتب العلمية .
-المصنف/ للإمام عبد الرزاق بن همام الصنعاني/ تحقيق الأعظمي/ الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ المكتب الإسلامي .
- المصنف في الأحاديث والآثار/ عبد الله بن محمد بن أبي شبية/ الدار

السلفية بالهند .
- معارج القبول/ للشيخ حافظ الحكمي/ تحقيق عمر أبو عمر/ الأولى/ الناشر دار ابن القيم بالدمام .
- معالم التنزيل (تفسير البغوي) تحقيق النمر وضمرية والحرش/ دار طيبة ١٤٠٩هـ
- معالم في السلوك وتزكية النفوس/ عبد العزيز آل عبد اللطيف/ الأولى ١٤١٤ هـ دار الوطن بالرياض .
- المعتزلة وأصولهم الخمس/ د . عواد المعتق/ الأولى ١٤٠٩ هـ دار العاصمة بالرياض .
- المعتزلة/ محمد العبدة وزميله دار الأرقم/ بريطانيا
- المعجم الكبير/ لأبي القاسم الطبراني/ تحقيق حمدي السلفي/ الثانية ١٤٠٤ هـ .
- المعجم المفهرس الألفاظ الحديث النبوي/ لفيف من المستشرقين/ الأولى ١٩٣٦م / ليدن .
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / محمد فؤاد عبد الباقي / دار إحياء التراث العربي .
-المغني/ للإمام ابن قدامة المقدسي/ تحقيق الدكتور التركي وزميله/ دار هجر/ الطبعة الأولى .
مفتاح دار السعادة / للحافظ ابن القيم .
- مقالات الإسلاميين / أبو الحسن الأشعري / تحقيق محيى الدين عبد الحميد / الثانية ١٣٨٩هـ مكتبة النهضة .
- الموطأ / للإمام مالك بن أنس/ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي/ دار إحياء التراث بيروت
- وصايا العلماء للإمام ابن زبر الربعي تحقيق الخيمي/ ١٤٠٩ هـ دار ابن كثير .
- وفيات الأعيان / أحمد بن محمد بن خلكان / تحقيق إحسان عباس / دار صادر ١٣٩٨ هـ .

الفهرس

رقم الإيداع: ٣٣١٥ / ٩٦
طبع بدار **نوبار** للطباعة